موقف مؤلف اندلسي من نقد الشعر
كما يتضح في كتاب
الوافي في نظم القوافي
تأليف
ابي البقاء صالح بن شريف الرندي الاندلسي

T107A
pt. 1

نبيل اديب رحّال

رسالة قدمت الى الدائرة العربية في
الجامعة الاميركية في بيروت
للحصول على درجة استاذ علوم

بيروت
الجامعة الاميركية
تشرين الاول ١٩٦٦

تصـــديـــــر

بدأت رفقتي لابي البقاء الرندي قبل عام من هذا التاريخ عندما حصلت اولا على نسخة الكتاني من مخطوطة الوافي في نظام القوافي ثم على نسختي الرباط وليدن. وقد عمدت الى قراءة النسخ الثلاث مقابلا الواحدة منها مع الاخرى فظهر لي صعوبة اعتماد واحدة منها كأم، ذلك لان نسختين من النسخ الثلاث هما نسخة الرباط ونسخة الكتاني جاءتا خاليتين من تاريخ النسخ واسم الناسخ . والنسخة الثالثة وهي نسخة ليدن ، حديثة العهد ترقى الى العام ١٢٩١ للهجرة. اضف الى ذلك ان ما من نسخة من النسخ الثلاث الا وتزيد في مواضع وتنقص في مواضع. ازاء هذه الحالة وجدت ان الطريقة الفضلى ربما كانت في محاولة التوفيق بين النسخ الثلاث لاعطاء اقرب صورة لمحتويات الكتاب .

وكان عملي يرمي الى تسجيل النص الصحيح في المتن والاشارة الى الخلافات ومواضع النقص والزيادة في الهامش. وبعد ان تم لي هذا العمل عمدت الى تخريج الابيات الشعرية الواردة في المخطوطة من الدواوين والمصادر الادبية، كما جهدت في نسبة الابيات التي لم تنسب حيث امكنني ذلك.

وقد قسمت الهامش في قسمين . جعلت قسما للتخريجات والمقابلات

ووضعت له ارقاما عربية ، وقسم خصصته للتعريف بالاعلام وتفسير المفردات الصعبة ووضعت له احرفا افرنجية .

وبعد انتهائي من هذا العمل عمدت الى دراسة حياة ابي البقاء . ولما كانت المصادر الادبية لم تترجم له وكانت الترجمة الواردة في الذيل والتكملة والتي نقلها صاحب الاعاطة لا تفي بالمرام ، فقد عمدت الى كتاب الوافي استقصي ما يمكن ان يفيدني فيه عن ابي البقاء وتمكنت من رسم صورة واضحة لحياته العائلية والاجتماعية ولعلاقته بأعيان عصره ولتنقلاته واتصاله بامراء دولة بني نصر والحقيقة حول توليه القضاء وممارسته للطب .

ثم تحدثت عن شعره محاولا ان ابين خصائص هذا الشعر الرئيسية ، ومتحرزا من اطلاق حكم نهائي عليه ذلك لان شعره الذي ورد في الوافي قد فرضته ابواب الكتاب فاختاره بما يناسب المقام فجاء في ما اعتقد لا يمثله تمثيلا صادقا بقدر ما يخدم اغراضا معينة .

واخيرا عرضت لمحتويات الكتاب وبينت ان الصفة الغالبة فيه هي صفة السرد والاخبار وان عنصر النقد قد يكاد يكون معدوما . وعقدت مقارنة بين المصالي الادبي في ابواب البديع كما جاءت في الوافي مع ما يقابلها عند اربعة من المؤلفين هم .

ابن ابي الاصبع المصري في تحرير التحبير وقدامة في نقد الشعر وابن رشيق في العمدة والعسكري في الصناعتين ، تبين لي في نهايتها ان اوجه التشابه اكثر من اوجه الخلاف وان ابا البقاء ينفرد في بعض الابواب.

كذلك اقمت مقارنة بين العمدة والوافي اظهر لي بنتيجتها ان ابا البقاء ربما يكون قد تأثر كثيرا باسلوب ابن رشيق في التأليف، وخاصة من ناحية تنايم ابواب الكتاب ، الا انه على عكس ابن رشيق لم يكن مناقشا او ناقدا او مقارنا .

واخيرا وضعت ثبتا بالمصادر التي رجعت اليها في التخريجات وكتابة المقدمة ورتبتها على الاحرف الهجائية لاسماء المؤلفين متبعا الاسم المشهور لكل منهم فالمتنبي مثلا وضعته تحت حرف الميم وابو العتاهية تحت حرف العين مع كامل اسم كل منهما .

والان فيما انا اشرف على نهاية هذه الرفقة مع ابي البقاء اراني مدينا بالشكر الى اساتذة الدائرة العربية واخص بالذكر الاساتذة الدكتور انيس فريحة والدكتور جبرائيل جبّور وعميد الدائرة العربية الدكتور محمد نجم الذين ما بخلوا عليّ يوما باسداء النصح وتقديم المساعدة لي ، كلما كنت ارد مناهلهم صاديا . كذلك فاني اشكر الآنستين الهام خير من الكلية الثانوية العامة ، وسلمى سنّورة من الاونروا اللتين خاضتا سباقا مضنيا مع الوقت جاءتا في نهايته مجليات وجاء مصليا .

واخيرا وليس آخرا اتقدم بشكري القلبي الخالص من الدكتور احسان عبّاس الذي رعى خطواتي اثناء هذا العمل الشاق ، فكان خير مرشد ومعين لي ، اقالني عثرات السقوط على دروب التحقيق العلمي وقدّم لي كل ما احتجت اليه من مراجع في مكتبته العامرة ، فان كان هناك ما ينوه به لقيمته في هذا العمل فالغنم فيه له ، وان كان هناك ما يؤاخذ عليه فالغرم فيه عليّ . هذا ، والله من وراء القصد وهو نعم الوكيل .

نبيل ادهم رحّال

لمحة تاريخية

تعريف بمؤلف الكتاب

١ ـ نسبه وكنيته

٢ ـ ولادته ـ تاريخها ومكانها

٣ ـ تنقله في مدن الاندلس والمغرب

٤ ـ حياته العائلية

٥ ـ علاقاته الاجتماعية

٦ ـ شيوخه وثقافته

٧ ـ مذهبه

٨ ـ هل كان قاضيا طبيبا

٩ ـ شعره

كتاب الوافي في نظم القوافي

١ ـ عرض وتقييم

٢ ـ نسخ الكتاب

٣ ـ منهج التحقيق

لمحـــة تـــاريخيـــة

مع سقوط الدولة الاموية بالاندلس في اواخر القرن الرابع وقيام حكم الطوائف ، بدأت بواكير النكبة ترتسم في افق الاندلس العربية . وراحت الاطراف المتنافسة تتخاطف قواعدها ومدنها فكانت فرناطة من نصيب البربر بقيادة زاوى بن زيري [١] ، وتحولت قرطبة الى بني حمود [٢] وقام حكم بني عباد في اشبيلية [٣] . واستمرت المناوشات بين هذه الاطراف الى ان تمكن يوسف بن تاشفين [٤] من عبور البحر الى الاندلس عام ٤٧٩ هـ فاستولى على فرناطة وغيرها من القواعد الاندلسية معلنا بذلك نهاية حكم الطوائف وقيام حكم المرابطين الذى دام اكثر من نصف قرن . ولكن ما ان بدأ حكم المرابطين بالانهيار في افريقيا حتى انعكست آثار ذلك على دولتهم بالاندلس فتعرض حكمهم لهجمات متتالية من الموحدين تمكنوا بنتيجتها من الاستيلاء على القواعد الاندلسية واحدة إثر الاخرى الى ان كان سقوط فرناطة بايديهم عام ٥٤٣هـ/١١٤٨م . وظلت فرناطة بيد الموحدين يتناوبون على حكمها اميرا بعد اميرالى ان اندلعت في وجههم ثورة ابي عبدالله محمد بن يوسف بن هود من امراء سرقسطة وراح يهز اركان ملكهم هزا ويستولي على القواعد التي كانت تحت سيطرتهم . والقصة انه لما توفى ابو يعقوب يوسف المستنصر بالله سلطان الموحدين سنة ٦٢٠ هـ دون ان يترك وريثا من صلبه ، اعلن ابن اخيه ابو عبدالله محمد نفسه اميرا على بلنسية ، كما قام اخوه ابو علي ادريس باعلان نفسه اميرا على اشبيليه ولقب نفسه بالمامون فحكم بشدة وسام الاهلين الظلم

---

(١) انظر البيان المغرب لابن عذارى ٣ : ٢٦٢ (تحقيق لافي بروفنسال)
(٢) المصدر السابق : ٣ : ١١٩ (٣) المصدر السابق ٣ : ١٩٣ (٤) المصدر السابق ٣ : ٢٩٣

والخسف. فسخطوا عليه وراحوا يتحينون الفرص للخلاص منه. فلما جاء ابن هود بدعوته الجديدة للتخلص من نير المأمون وتهديد جيوش النصارى، لقيت دعوته استجابة سريعة من قبل السكان المسلمين فانجدوه بكل ما اوتوا حتى تمكن في مدى ثلاثة اعوام من السيطرة على معظم القواعد التي كانت تحت سلطان الموحدين ودخل اخيرا قرطبة منتصرا على المأمون وكان ذلك عام ٦٢٨هـ/ ١٢٣١م (١)

وتميزت فترة حكم ابن هود بحروبه المتواصلة مع بقايا الموحدين والنصارى ولم تكن النتائج دائما لصالحه فسقطت في عهده في ايدي جيوش النصارى ماردة وبطليوس عام ٦٢٨هـ وابده عام ٦٣١ واخيرا قرطبة عام ٦٣٣ هـ. وبعد وفاته عام ٦٣٥ راحت بقايا دولته تتداعى للسقوط، فسقطت بلنسية عام ٦٣٦ هـ ثم شاطبة ودانية عام ٦٣٨هـ ثم مرسية عام ٦٤١ هـ (٢)

في هذا الوقت بالذات الذي راحت فيه هجمات القشتاليين تشتد على ما تبقى من قواعد عربية، يبرز في سماء الاندلس امل جديد تمثل في محمد بن يوسف النصري الخزرجي المعروف بابن الاحمر من سلالة بني نصر حكام حصن ارجونة (٣) وكان قد ذر قرن الخلافات

---

(١) انظر تاريخ ابن خلدون ٤: ٣٨٩ وما بعدها. (طبعة دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٥٨)
(٢) انظر نهاية الاندلس لمحمد عبدالله عنان ٤: ٢٣ وما بعدها.
(٣) انظر اللمحة البدرية في الدولة النصرية: ٣١ (المطبعة السلفية القاهرة ١٣٤٧ هـ)

بين محمد بن الاحمر وابن هود منذ ان بدأت قواعد الموحدين تنصاع الواحدة تلو الاخرى تحت وطأة هجمات ابن هود . ففي هذا الوقت لاحت الفرصة مناسبة امام ابن الاحمر لنيل حصته من الاسلاب وتثبيت قدميه في حكم مستقل فدعا الى التفاف انصاره حوله في ارجونة ثم راح يسعى لتوطيد سيطرته في الانحاء الوسطى من الاندلس ثم في الثغور الجنوبية وحالف أبا مروان الباجي ضد ابن هود ، وكان ابو مروان قد تمكن من بسط نفوذه على اشبيلية ، الا ان محمدا عاد وغدر بالباجي وندم عليه من قتله (١) . ولم يمض وقت طويل حتى تحولت الى طاعته قواعد جيان وشريش ومالقة .

وبعد وفاة ابن هود عام ٦٣٥هـ وانهيار دولته بادر محمد بن الاحمر الى قطف ثمار الانتظار . وكان واليا على فرناطة في ذلك الوقت من قبل ابن هود ، عتبة بن يحيى الغيلي (٢) الذي كان على خصومة شديدة مع ابن الاحمر ، وكان يسوم سكان فرناطة الوانا من الظلم والاضطهاد فثاروا عليه بقيادة ابن خالد واقتحموا قصره وقتلوه ونادوا بابن الاحمر محمد ، اميرا عليهم . فسار (٣) الى فرناطة بموكب كبير فدخلها عصر احد ايام رمضان من عام ٦٣٥هـ (١٢٣٨م) وتوجه الى الجامع حيث صلى فيه ثم انتقل الى قصر باديس مسجلا بذلك ولادة الدولة النصرية في الاندلس وقاعدتها فرناطة هذه الدولة التي تمكنت من

---

(١) انظر تاريخ ابن خلدون ٤ : ٣٦٤
(٢) انظر نهاية الاندلس ٤ : ٣٢
(٣) انظر اللمحة البدرية : ٣٥

الصمود سحابة قرنين ونصف في وجه الزعازع والاعاصير التي كانت تهب عليها من جميع الجهات ، تارة باستعمال الشدة والقوة ، وطورا باللجوء الى اللين والمسالمة .

لقد جاء ابن الاحمر يمثل الامل الوحيد المتبقي امام الاندلسيين لتحاشي السقوط النهائي للاندلس. فكان طبيعيا والامر كذلك ان يلتف الاندلسيون حوله في غرناطة وان تسرع القواعد العربية المجاورة الى اعلان مبايعتها له بالزعامة ايمانا منها بما يمثله من صبغة عربية خالصة ، واتقاء لخطر داهم مصدره جيوش القشتاليين التي كانت تتهدد امنها وسلامتها باستمرار. وهكذا اصبحت غرناطة قاعدة النشاط السياسي والادبي ، اليها ينزح القواد والادباء والشعراء يشجعهم على ذلك ما كان عليه مؤسس الدولة النصرية ومن بعده ابنه ، من حب للعلم وللادب ومن تشجيع لمجالسه . فقد كان ابن الاحمر ، مؤسس الدولة ، يعقد في قصره المجالس الاسبوعية ترتفع اليه فيها الظلامات ويكافهـــه طلاب الحاجات وينشده الشعراء ، وكانت هذه المجالس تفتتح بقراءة احاديث من الصحيحين وتختم باعشار من القرآن الكريم (١) وكان ابنه محمد الملقب بالفقيه شاعرا يقرض الشعر ومؤثرا للعلماء والادباء والشعراء والكتاب. (٢)

وفي ظل هذه الدولة النصرية عاش ابو البقاء اكثر حياته ، فليس مستغربا بعد هذا ان نراه ، وهو الشاعر المطبوع ، الذي تركت فيه النكبة تأثيرها البالغ ، فظلت تفعل في ضميره

---

(١) انظر اللمحة البدرية : ٣١ : ٣٢ (٢) المصدر السابق : ٣٥

وقلبه ووجدانه زمنا طويلا حتى كتب نونيته الشهيرة التي بكى فيها مجد الاندلس الغابر، اقول ليس مستغربا بعد هذا ان يكون ابو البقاء في طليعة المتصلين بأمراء الدولة النصرية والمسرعين الى مجالسهم يمحضهم ولاءه وحبه واخلاصه ويبادلونه بدورهم ولاء بولاء وحبا بحب واخلاصا باخلاص.

تعريف بمؤلف الكتاب

١ . نسبه وكنيته :

ذكر صاحب الاحاطة[١] انه : " صالح بن يزيد بن صالح بن موسى بن ابي القاسم بن علي بن شريف. من اهل رندة ،يكنى أبا الطيب" وبهذا يتفق مع ما أورده ابن عبد الملك في الذيل والتكملة[٢] . اما صاحب مسالك الابصار[٣] فقد خالف الرجلين في نسبه اذ ورد عنده كما يلي : " صالح بن يزيد بن صالح بن علي بن موسى ابن ابي القاسم بن شريف النفزى الرندى ،ابو الطيب الاندلسي ".

فالخلاف بين الروايتين لا يتعدى موقع اسم " علي " فهو سادس في سلسلة النسب حسب المصدرين الاولين ورابع حسب المصدر الثالث،ولا يبعد ان يكون هذا سهوا في النقل من صاحب المسالك ،او من الناسخ نفسه ،لان اتفاق الاحاطة والذيل والتكملة على وروده سادسا هو المرجح،اذ ان ابن عبد الملك غاية في الدقة والتحرى ،وان الخطيب ينقل عنه ، وعن ابن الزبير مؤلف كتاب " صلة الصلة".

كذلك زاد صاحب المسالك في نسبه لفظة " النفزى" ،وهذه الزيادة — ان صحت —

---

(١) انظر الاحاطة في اخبار غرناطة : ١٧٩ (مخطوطة الاسكوريال رقم ١٦٨٣)
(٢) انظر الذيل والتكملة ،بقية السفر الرابع: ١٣٦ (تحقيق الدكتور احسان عباس ،دار الثقافة ،بيروت) (٣) انظر مسالك الابصار (مخطوطة ايا صوفيا) ١١ : ٤٨٠

هامة الدلالة لانها تعني ان صالح بن شريف منتسب الى قبيلة نفزة وهي قبيلة بربرية كبيرة تنتسب اليها اسر اندلسية اخرى منها بنو عميرة وبنو ملحان الذين كانوا يقيمون بمدينة شالبة(١) ويقول صاحب مفاخر البربر : "كان فيهم (اى نفزة) فقهاء وقضاة بقرطبة"(٢)

اما كنيته فقد وردت في المصادر التي بين ايدينا على شكلين ،فهو يكنى بأبي البقاء كما يكنى بأبي الطيب. فصاحب نفح الطيب(٣) كناه بأبي البقاء ،وهي الكنية التي عرفه بها المشارقة عن طريق النفح . الا ان صاحب النفح نفسه يعود في ازهار الرياض(٤) فيكنيه بابي الطيب،وهكذا يفعل ايضا ابن عبد الملك في الذيل والتكملة ،وابن الخطيب في الاحاطة ،وتلك هي كنيته في خاتمة كتابه ،مما يدل على انه كانت له كنيتان وليس في هذا ما يدعو الى الدهشة او التساؤل ،ذلك ان اطلاق كنيتين على شخص ما كان امرا مألوفا . ولهذا لا أجدني في حاجة لاحقق في أى الكنيتين هي الصحيحة .

٢ . ولادته ،تاريخها ومكانها :

يذكر ابن الخطيب في الاحاطة ان أبا البقاء ولد عام ٦٠١هـ (١٢٠٤م) وتوفي

---

(١) انظر مادة "نفزة" في معجم البلدان ،وقد نقل ضبط الكلمة عن السلفي بكسر النون
(٢) كتاب مفاخر البربر لمؤلف مجهول ،تحقيق لافي بروفنصال ، (ط. الرباط ١٩٣٤)
(٣) انظر نفح الطيب ٢ : ٢٤٦ - (طبعة بولاق) (٤) انظر ازهار الرياض ١ : ٤٧ (تحقيق مصطفى السقا وابراهيم الابياري ،مطبعة لجنة التأليف والنشر. القاهرة ١٣٥٨ هـ / ١٩٣٩م)

عام ٦٨٣هـ (١٢٨٤م) أما المصادر الاخرى التي ترجمت له فقد سكتت عن تحديد تاريخ ولادته ووفاته مما اوقع الوهم في تحديد عصره ، وانما جاء هذا الوهم من قول المقرى فيه : " خاتمة ادباء الاندلس" . ولم يكن الذين جاز عليهم هذا الوهم قد اطلعوا على تاريخ ولادته ووفاته في الاحاطة ، ولكن وقائع الاحوال تؤيد ما ورد في الاحاطة ، وبيان ذلك :

١ . ان قصيدته النونية الشهيرة في رثاء الاندلس قد نظمت على حد قول صاحب الذخيرة السنية (١) ، اثر سقوط القواعد العربية الكبرى في الاندلس. بلنسية وشاطبة ودانية وشريش والمدينة والقلعة ، وقد سقطت كلها بين ٦٣٦هـ و ٦٦٥ (١٢٣٨ و ١٢٦٦م)

٢ . يذكر ابن عبد الملك (٢) ان أبا البقاء قد كتب اليه باجازة ما رواه وألفه وأنشأه نظما ونثرا . وهذا يدل على ان ابا البقاء كان معاصرا لابن عبد الملك الذي توفي عام ٧٠٣هـ (١٣٠٣م) ولا يترجم له ابن عبد الملك الا ان يكون قد توفي قبل نهاية القرن السابع ، واكاد اجزم ان ابن عبد الملك لم يغفل تاريخ وفاته ، ولكن ترجمة صالح بن شريف في كتابة مخرومة من آخرها لضياع اوراق مفقودات

٣ . جاء في الاحاطة (٣) على لسان ابن الزبير انه لقي ابا البقاء بمالقه اشهرا ايام اقرائه فيها وكان ابو البقاء لا يفارق مجالس اقرائه . وابن الزبير هو احمد ابن الزبير الغرناطي المولود عام ٦٢٧هـ (١٢٢٩م) والمتوفي عام ٧٠٨هـ (١٣٠٨م) (٤)

---

(١) انظر نهاية الاندلس لمحمد عبد الله عنان ٤ : ٤٢ (٢) انظر الذيل والتكملة ، بقية السفر الرابع : ١٣٧ (٣) انظر الاحاطة : ١٧٩ (مخطوطة الاسكوريال)
(٤) انظر ترجمة احمد بن الزبير في الاحاطة ١ : ٧٢—٧٦ (تحقيق محمد عبد الله عنان ، دار المعارف ، مصر)

٤. في كتاب الوافي قصيدتان من نظم ابي البقاء الاولى [١] في رثاء محمد بن الاحمر مؤسس المملكة النصرية بغرناطة وقد توفي اثر سقطة عن جواده عام ٦٧١هـ (١٢٧٢م) وقصيدة ثانية [٢] يهنئ فيها بمبايعة ابنه بالملك وقد تمت هذه المبايعة عام ٦٦٢هـ [٣] (١٢٦٣م)

مما تقدم نستطيع ان نؤكد ان ابا البقاء قد عاش في القرن السابع الهجري وانه كان ما يزال على قيد الحياة حتى عام ٦٧١ هـ مما يؤيد رواية صاحب الاحاطة وعلى هذا فان قول المقرى [٤] ـ نقلا عن ابن عبد الملك ـ ان ابا البقاء كان خاتمة ادباء الاندلس لا يعني بالضرورة المعنى الزمني للعبارة بقدر ما يعني التقدير والاجلال لشخصه لقيمته الادبية.

اما مكان ولادته فان نسبة "الرندي" تشير اليه اعني انه لا معنى لنسبته الى رنده ان لم تكن هي مسقط رأسه او ان تكون على الاقل بلد اباءه. وهي بلدة تقع بين اشبيلية ومالقة [٥]، والاسم يطلق على حصن حصين، كما يطلق على كورة كاملة، وكانت الكورة اولا من كور قرطبة ثم اصبحت تابعة لاشبيلية فلما سقطت هاتان المدينتان اصبحت رنده في دولة بني الاحمر تعد من ولاية مالقة، وتضم كورة رندة حصن رندة نفسه ومدينة تاكرنا وحصن انده. وقد اشتهرت هذه الكورة بخصبها وبكثرة مزارع القطن فيها [٦].

---

(١) انظر الوافي في نظم القوافي : ٥٧ (نسخة الكتاني) (٢) المصدر السابق ٣٩ : ٤٠
(٣) انظر اللمحة البدرية : ٣٦ (٤) انظر النفح ٢ : ١٢٤٦ (٥) انظر مادة "رندة" في معجم البلدان (٦) المغرب لابن سعيد ١ : ٣٢٩

اما مدينة رندة نفسها فانها مدينة قديمة فيها آثار كثيرة . وتقع على نهر يسمى باسمها ، وهي كثيرة المياه يجلب اليها الماء من قرية بشرقيها ومن جبل طلوبرة بغربيها (١) وقد قال صاحب قلائد العقيان في وصفها : " احد معاقل الاندلس المتنعة وقواعدها السامية المرتفعة ، تطّرد منها على بعد مرتقاها ، وتدر النجم من ذراها ، مصون لانصابها دون كالرعد القاصف ، والرياح العواصف ، ثم تتكون وادياً يلتوي بجانبيها التواء الشجاع ، ويزيدها في التوعر والامتناع . . . "(٢)

في هذه المدينة — على الارجح — ولد صالح بن شريف وهو يعرف معاهدها معرفة وثيقة ويذكر متنزهاتها واماكنها في شعره ، مثل الديموس والمنزار ، ويتغنى بنهرها الذي التوى من حولها كانه نصف سوار حول معصم ، ويتذكر رياضها وانه قطع فيها الايام " في ظل الصبا " . ولكنه حسب قاعدة الحياة العلمية والكسبية في زمنه ، لم يلتزم الاقامة فيها بل كان كثير التنقل في بزى العدوة : الاندلسي والمغربي .

٣ . تنقله في مدن الاندلس والمغرب :

يذكر مؤلف الاحاطة(٣) ان ابا البقاء كان كثير الوفادة على غرناطة والتردد اليها يسترفد ملوكها وينشد امراءها . وقد توضح لي من خلال كتاب الوافي مدى علاقة

(١) الروض المعطار للحميري : ٧٩ (٢) نقلا عن المغرب ١ : ٣٣٤
(٣) انظر الاحاطة : ١٧٩

الرندي بامراء الدولة النصرية فقد توجه اليهم بغير قصيدة واحدة في اغراض شتى .

وجاء في المصدر السابق نفسه نقلا عن ابي الزبير انه تكرر لقاؤه لابي البقاء في مالقة ،وقد اقام فيها اشهرا وكان لا يفارق مجالس اقرائه

وسنرى عند الحديث عن اساتذته ان اثنين من شيوخ ابي البقاء كانا يتصدران للاقراء في اشبيلية وهما الدباج وابن زرقون ،وهذا يعني انه ارتحل اليهما في طلب العلم.

وفي باب الوصف في الشعر من كتاب الوافي اورد الرندي قصيدة (١) طويلة في وصف رندة وسبتة والديار الاندلسية عامة ،وذكر انه نظمها وهو في مراكش ومطلعها :

بحياة من ضمنت عرى الازرار بزمام ما في الحب من اسرار

وكل هذا يدل على ان ابا البقاء كان كثير التنقل والترحال وانه عرف اشبيلية وغرناطة ومالقة ومراكش. غير انه اتخذ رندة دار اقامة ،وكان شديد الحنين اليها كلما اغترب عنها وفي قصيدته التي كتبها من مراكش يقول :

بلغ للاندلس السلام وصف لها ما بي من اشواق وبعد مزار

واذا مررت برندة ذات المنى والراح والديمور واللوزار

سلم على تلك الديار واهلها فالقوم قومي والديار ديار

(١) انظر الوافي في نظم القوافي : ٨٢

ثم يمضي في وصف ما يحيط بها من بساتين وما يجرى بها من انهار ويقوم فيها من متنزهات مما قد يثبت كونها مكان اقامته .

كذلك نجد في ان رسالته في التعزية وهي التي وجهها لما توفي امير المسلمين الى ولي عهده صدرت من رندة .

٤. حيـاتـه العائـلـيـة

ولعله ايضا تزوج في رندة ،وان كنا لا نعرف عن حياته العائلية شيئا سوى ما يمكن ان نستنتجه من شعره . ففي نسخة ليدن من مخطوطة الوافي قصيدة في باب الرثاء يرثي بها ابنه ابا بكر الذي توفي طفلا صغيرا عن ثماني سنوات ،وتظهر فيها عاطفة أب مفجوع يبكي ابنه ويستنزف من عينيه بدل الدمع دما . وثمة قصيدة اخرى في النسختين المغربيتين في باب الرثاء ايضا ،يبدو من سياقها انها في ابنه ايضا وان يكن قد صدرها بقوله : ولي في ابن لبعضهم.(١)

وفي هذه القصيدة يقول :

يا قلب صبرا لما تلقى ويا كبدى ... فانما خلق الانسان في كبد

يا فرقدا فرقت منه أحبته ... وما على فرقة الاحباب من جلد

---

(١) انظر الوافي : ٥٧

اودعتـه الترب مغلوبا علي فيا لهفي وضمت فوادى في الثرى بيدى

اودعتها ولو ان الحال تسعدني لما جعلت لها قبرا سوى كبدى

بني لم يبق فيك الدهر لي طمعا يا قرة العين او يا قطعة الكبد

حال الردى بين شخصينا ففرقنا وانما حال بين الروح والجسد

ولم تكن حياة ابي البقاء شهدا خالصا بل كثيرا ما غالطها الصاب المر. فقد فجعه القدر بوفاة والدته ثم بوفاة والده فرثاه بقصيدة طويلة يقول فيها [١] :

حقا احبتنا اودى ابو حسن مهلا بنا فمسى هذا من الكذب

اما كفى الدهر من هذى لوالدتي حتى يضاعف لي منه بفـقد ابي

ابي ذهبت حميد الذكر طيبه ذهاب من لم يعب يوما ولم يعب

لم يبقى بعدك لي شيء اسر به فكيف بعدك لي في العيش من ارب

ونستدل من البيت الثاني انه قد فقد والدته ايضا قبل فقده والده. ولا نجد في كتابه قصيدة في رثائها. وفي حديثه عن طريقة رثاء النساء يورد قصيدة من نظامه دون ان يشير الى مناسبتها ولكن سياقها والعاطفة المتفجرة من ابياتها، تجعلني اميل الى الاعتقاد

---

(١) انظر الوافي : ٥٥

بانها في رثاء زوجته وفيها يقول (١) :

يا فرقة الموت ما ابقيت لي طمعا ... كأننا لم نبت قبل الفراق معا

يا زهرة للعلى لما انسهت قطفت ... كالنجم غاب سريعا بعد ما طلعا

لهفي لفقدك آلافا مكررة ... لو ان لهفي اذا كررته نفعا

لا تحسب الصبر سلوانا تعزى به ... فلا سلو لمن في قلبه فجعا

وكيف ينساك صب لو يمتعه ... بوجهك العيش طول الدهر ما قنعا

٥ . علاقاته الاجتماعيـة :

مر بنا القول في مدى عمق العلاقة بين ابي البقاء وامراء الدولة النصرية . ويبدو لي من سياق كتاب الوافي ان علاقة ابي البقاء بالوزراء والفقهاء في زمانه كانت علاقة متينة .

فمن الوزراء الذى تبادل معهم الرسائل صاحبه الوزير ابو العباس ابن بلال الجزيرى . فقد كتب هذا الوزير اليه يقول :

الم اذا شئت تحظى ... بصالح وشـريـف

بصالح بن يزيد ... بن صالح بن شريف

---

(١) انظر المصدر السابق : ٥٧

(٢) المصدر السابق : ٤٤

وقد رد عليه قائـــلا :

اهـــلا ببر سرني وجلالي	ما شئته من رفعة وجلال
حسن اطراد في قريض باهر	نظمت به الاسماء نظم لآل
درر كمثل السحر الا انها	قد حللت والسحر غير حلال
تروى الثناء عن السناء من العلا	عن احمد بن محمد بن بلال
خل تروقك من غلال غلاله	زهرات مجد في رياض معالي

وكان ابو العباس هذا فقيها من شيوخ الجزيرة الخضراء ،ومنزله ملتقى الادباء والشعراء وله ابن جميل تهافت الشعراء على وصف محاسنه (١) وتلقيبه بالوزير ربما كان من القاب التشريف التي تدل على اتقان الكتابة لا على المنصب الوزارى . ومن اتصل بهم الوزير ابو عمرو وقد هنأه بقدومه من سفر له في قصيدة يقول فيها :

ولا كيوم لقائي للوزير ابي	عمرو وقد عاد عود الحلي للعطل
لله من وافد سرت وفادته	مبارك السمي في حل ومرتحل

وهناك قصيدة اخرى وجهها للوزير ابي بكر مهنئا اياه بمولود اثر آخر يقول فيها :

اهلا به اذ بدا في صورة البشر	نجما تولد بين الشمس والقمر
يهني الوزير ابا بكر مسرتـه	بذا الوزير وما ادراك من وزر

(١) اختصار القدح المعلى لابن سعيد : ٨٦ (تحقيق ابراهيم الابيارى ط القاهرة ١٩٥٦)

ولعلي ارجح ان ابا بكر هذا هو عبدالله بن عبد العزيز المشهور بابن صاحب الرد وهو اشبيلي الاصل ،كان اديبا شاعرا وقد تولى رندة في ايام ابن هود ثم كان له دور سياسي في ايام ابن الاحمر (١) .

وله من قصيدة وجهها الى وزير لم يسمه يهنئه فيها بثلاثة عيد وابلال واياب يقول فيها :

وانعم بنعمة اقبال الوزير وقد قضى له اليمن والاقبال ما يجب

فيا ثلاثة اعياد اتت نسقا اذ عاد عيد وصح ابن وآب اب

ومن قصيدة اخيرة يهنئ فيها بمولود سمي يحي :

سماه يحيى فاحيا جده كرما اب دعاه فلبى السعد حين دعا

يهنى الوزارة بشرى طالما اشتهيت ومن الذ المنى ما كان قد منعا

وفي الكتاب ايضا ذكر لعدد من الفقهاء والادباء الذين لقيهم او راسلهم او عارضوا بعض قصائده .

ومنهم ابو بكر النجار الاشبيلي الذى عارض قصيدة للرندى تنشد على ثلاث قوافي

ومنهم ابو عبدالله ابن مهران الذى انشد له قصيدة ونعته بقوله : ولا غينا

---

(١) اختصار القدح المعلى : ١١٢

الفقيه الجليل ابي عبدالله بن مهران رحمه الله

ومنهم اخيرا رجل صوفي لقيه في غرناطة فأنشده شعرا لبعضهم.

٦. شيوخـــه وثقافتـــه :

ذكر ابن عبدالملك [١] ان ابا البقاء قد روى عن ابيه وعن الدباج وابن الفخار الشريشي وابي الحسين بن زرقون وابن الجد التونسي وابن قلرال وورد في الاحاطة ، نقلا عن ابن الزبير ،انه كان يحضر مجالس اقراء ابن الزبير في مالقة .

فمن هم هؤلاء الشيوخ ؟ لعل في تقديمي لهم ما يساعد على القاء بعض النور على شخصية ابي البقاء الادبية.

١. الدباج ،علي بن جابر بن علي اللخمي : كان نحويا اديبا ومقرئا جليلا وهو آخر المقرئين الجلة باشبيلية [٢] وكان تاليا في اقراء العربية والادب لابن طلحة والشلوبين وابن عبدالله وممدودا فيهم،وكان يزيد عليهم باقرائه لكتاب الله تعالى واتقانه له [٣] ،وهو [٤] مع هذا في نهاية من اللطافة وحسن النادرة . ومن شعره :

---

(١) انظر الذيل والتكملة ٤ : ١٣٧
(٢) انظر صلة الصلة لابن الزبير : ١٣٧ (تحقيق ليفي بروفنصال ،باريس ١٩٣٨)
(٣) انظر برنامج شيوخ الرعيني : ٨٨ (٣٢) (تحقيق ابراهيم شبوح ،دمشق ١٣٨١هـ/١٩٦٢م)
(٤) انظر المغرب لابن سعيد ١ : ٢٥٦

لما تبدت وشمس الافق بادية ابصرت شمسين : من قرب ومن بعد

من عادة الشمس تعشي عين ناظرها وهذه نورها يشفي من الرمد

توفي عام ٦٤٦ هـ.

٢. ابن الفخار الشريشي ،علي بن ابرهيم بن علي بن عبد الرحمن بن حسن الامي ،ابو الحسن. من اهل المعرفة بالحديث المتصدرين في بلده لاقرائه. كان اماما في الادب مجيدا في نظمه ونثره. ولي قضاء الجزيرة الخضراء ثم قضاء مدينة رندة. توفي عام ٦٤٢ هـ.(١)

٣. ابن زرقون ،محمد بن القاضي ابي عبد الله محمد بن سعيد بن احمد بن سعيد بن عبد البر الانصاري ،ابو الحسين. (توفي سنة ٦٢١هـ/ ١٢٢٤م). قال الرعيني : "هذا شيخ جليل الاصالة . . . قرأت عليه وسمعت كثيرا ،وتفقهت به ،واخذت عنه معظم تواليفه وهو آخر من كان في اشبيلية متصدرا بهذا الرسم"(٢) وكان من اشد فقهاء المالكية تعصبا للمذهب ولذلك اوذي من جهة الموحدين لانهم كانوا يميلون الى الظاهر ،وقد كتب ابن زرقون كتابا يرد فيه على المحلى لانه حرم شيخ الظاهرية في عصره(٣).

٤. ويذكر ابو البقاء في كتابه(٤) شيخا من شيوخه لقيه في سبتة وهو ابو علي القصري

---

(١) انظر صلة الصلة ١٣٥ ،وبرنامج شيوخ الرعيني : ١٣٢ (٢) انظر برنامج شيوخ الرعيني : ٣١ (٣) التكملة لابن الابار : ٦١٦ (ط. مصر) والديباج المذهب لابن فرحون : ٢٨٦ (ط. القاهرة ١٣٥١) (٤) الوافي في نظم القوافي : ٢٠

وقد حدثه عن الهيثم الاشبيلي (١) وقوة بديهته في قول الشعر في اى موضوع يقترح عليه . فقد اقترح عليه الشيخ القصرى رسالة موشحة وشعرا في موضوع معين فأملى الثلاثة على ثلاثة دون ان يتوقف او يجف لاحد قلم.

ولم استطع العثور على ترجمة للقصرى او لابي القاسم بن الجد التونسي ، وهو شيخ آخر من شيوخه ، فيما اعتمدته من مصادر.

٥ . ومن شيوخه الذين روى عنهم ايضا ابوه ، ابو الحسن ، وقد ذكره ابن عبد الملك بين الشيوخ الذين اخذ عنهم ابو البقاء . ونحن لا نعرف عنه شيئا سوى انه لما مات رثاه ابو البقاء بقصيدة طويلة تميزت بصدق العاطفة كما سأبين عندما اتحدث عن شعره .

كان ابو البقاء شاعرا وناثرا ، مشاركا في الحساب والفرائض ، فقيها حافظا (٢) . ومؤلفاته كثيرة في مجالات الادب والفقه والتاريخ . فقد ذكر صاحب الاحاطة انه الف كتابا على حديث جبريل وتصنيفا في الفرائض. وذكر المقرى (٣) كتابه في الفرائض هذا ، واشار الى ان محمد البسطي القلاصادى المتوفي عام ٨٩١هـ تولى شرحه في ما شرحه من كتب الفرائض . كما ذكر له صاحب الاحاطة كتابا آخر هو روض الانس ونزهة النفس. وقد اطلع

(١) راجع ترجمة الهيثم الاشبيلي في اختصار القدح : ١٥٨ وقد قتل سنة ٦٣١ هـ.
(٢) الاحاطة : ١٧٦ (٣) انظر نفح الطيب ٢ : ٦٨٤

الاستاذ محمد عبدالله عنان [١] على مخطوطة من هذا الكتاب وقال انه مجلد ضخم في تاريخ الاسلام والخلفاء الراشدين والدولتين الاموية والعباسية .

اما ابن عبد الملك [٢] فيذكر ان له تأليفا في العروض وتأليفا في صنعة الشعر سماه "الكافي في نظم القوافي" [٣] . فان صح هذا القول يكون ابو البقاء قد الف كتابا مستقلا في العروض . غير ان كتابه "الوافي في نظم القوافي" يحوي جزءا كاملا من اجزائه الاربعة على العروض والقوافي . فهل يكون ابو البقاء قد الف اولا كتابا في العروض ، ثم عاد والف كتابه الثاني الوافي في نظم القوافي ، والحق الاول بالثاني ؟ ذلك ما لا يمكن الجزم فيه ، وان تكن اسباب الترجيح متوفرة ، اذ ما الحكمة من تأليف كتابين مستقلين في موضوع واحد ؟

وهكذا يتوضح لنا ان ابا البقاء كان شخصية متعددة الجوانب ، اديبا فقيها عروضيا مؤرخا . وليس ثمة خلاف في ان شخصا يستطيع ان يكتب ويؤلف في موضوعات متعددة كهذه هو شخص غزير المعرفة ، واسع الاطلاع .

٠ . مـــذهبـــه :

من المعروف ان اكثر الاندلسيين كانوا على المذهب المالكي ، وما اتصور ان يكون

---

(١) انظر دولة الاسلام في الاندلس لمحمد عبدالله عنان ٤ : ٤٣٩ ـ الحاشية ٣
(٢) انظر الذيل والتكملة ٤ : ١٣٧ (٣) هكذا ورد اسمه ايضا في الاحاطة ، اما في جميع النسخ التي اعتمدت في التحقيق فهو : الوافي

ابو البقاء قد شذ في هذا عن البيئة التي عاش فيها ، خصوصا وان اساتذته كانوا من كبار فقهاء المالكية ، وكانت الدعوة الى الظاهر التي دعا لها الموحدون قد انحسرت في ايامه .

ولابي البقاء قصيدة يقول فيها :

اسقني غير مليـــم انني حنفي الرأي والمعتقـــد

ومثل هذا البيت لا يستنتج منه ان ابا البقاء كان حنفي المذهب، وانما هو اشارة منه الى مذهب اهل العراق في تحليل النبيذ وهو مقترن بقوله "اسقني".

٨. هل كان قاضيا طبيبا :

ثمة نقطتان اخيرتان تثيران الانتباه في ما يتعلق بابي البقاء . اولهما ان اسمه في الالحة كتابه "الوافي" قد جاء مسبوقا بـ "القاضي" ، وثانيهما ان اسمه ايضا قد جاء في الاحاطة[1] مرة ، مسبوقا بلفظة "الطبيب" . فما هي الحقيقة حول هذين الاسمين ؟

اما بالنسبة للامر الاول ، فما من مصدر من المصادر التي بين ايدينا ذكر ان ابا البقاء قد تولى القضاء ، والاشارة الى قضائه قد وردت فقط في الالحة كتابه . وليس هناك ما يمنع من الاخذ بهذا القول . ذلك ان ابا البقاء كان على صلة صداقة قوية بمحمد بن يوسف بن الاحمر ، وكان من الذين نالوا الحظوة لدى سلاطين الدولة النصرية . ومن دلائل هذه الصلة ما رواه ابن الخطيب[2] من ان ابا البقاء كان كثير الوفادة على فرناطة ينشد

(١) انظر الاحاطة : ١٨٠ (مخطوطة الاسكوريال) (٢) انظر الاحاطة : ١٨٢

ملوكها وامراءها ،ويقول الشعر بناء على طلبهم كقصيدة :

اواصلتي يوما وهاجرتي الفا

التي نظمها بناء على اقتراح السلطان حين طلب اليه الا يخرج من بساتين الملك الا بعد ان يتمها . وفي اللمحة البدرية (١) ان الحركة الفكرية قد ازدهرت كثيرا في عهد بني الاحمر وانهم كانوا في طليعة الادباء والعلماء ،واشتهر عميدهم ومؤسس دولتهم محمد بن الاحمر بحمايته للعلم والادب. وكان من خاصة شعرائه الاثيرين لديه صالح بن شريف الرندي (٢) والواقع ان اطول قصائد ابي البقاء سواء في المدح او في الرثاء هي تلك التي قالها في امراء الدولة النصرية . فليس غريبا والامر كما قدمت ان يكون بنو الاحمر قد كافأوه بتوليته القضاء على رندة .

نأتي الى الامر الثاني وهو احتراف ابي البقاء للطب. ان اياً من المصادر لم يذكر ان ابا البقاء كان طبيبا ،واعتقد انه لو كان عالما بالطب حقا — والمهنة هذه على درجة من الاهمية يصعب اخفاؤها او عدم ذكرها — لكانت المراجع التي ترجمت له ذكرتها . انما الذي يبدو لي ان هذا اللقب كما ورد في الاحاطة هو على الارجح تصحيف لكنيته ابي الطيب.

٩. شعـــــره :

ثمة صعوبتان تواجهان الباحث في شعر ابي البقاء . الصعوبة الاولى تتعلق

---

(١) انظر اللمحة البدرية : ٣١ (٢) انظر نهاية الاندلس ٤ : ٤٤٢

بالكمية والصعوبة الثانية بالنوع.

اما من حيث الكمية ، فان الشعر الذى بين ايدينا لابي البقاء لا يؤلف ديوانا يضم كل شعره انما هو مقتطفات اورد ها المؤلف لنفسه في كتابه حيث اقتضى الاستشهاد ذلك .

واما من حيث النوع ، فان هذا الشعر لقلته لا يمثل شعر ابي البقاء تمثيلا حقيقيا فهو قد فرضته ابواب الكتاب المختلفة ، فاختاره ابو البقاء بحسب المقام ، فجاء على هذا لا يعطي صورة صادقة عن شخصيته الشعرية . وعليه فان اى حكم نصدره عليه سوف يظل حكما جزئيا وموقتا ، معرضا للنقض والتصويب حتى يتوفر لنا شعره كله .

ولقد اربى عدد المقطعات التي اورد ها المؤلف لنفسه في الكتاب على الخمسين قطعة تفاوتت في الطول والقصر وزاد بعضها على الاربعين بيتا بينما لم يتجاوز البعض الآخر منها البيت او البيتين ، كما تباينت ايضا في الاغراض والموضوعات فتراوحت بين المدح والرثاء والتهنئة والوصف وبقية فنون البديع . كذلك ورد له في الاحاطة والذيل والتكملة بعض الاشعار التي ذكرت في كتابه .

والواقع انه على ضوء ما وصلنا من شعر ابي البقاء فاننا لا نستطيع ان نرفعه الى مرتبة الشعراء المجيدين ، كما اننا لا نستطيع ان نتناوله من زاوية شعرية معينة لعدم شمول المادة الشعرية التي اورد ها لنفسه .

ولعل خير طريقة نتوسل بها لتقييم شعره هي في تتبع الخصائص الرئيسية التي جاءت في هذا الشعر. فما هي هذه الخصائص ؟

١. الظاهرة الاولى التي تستلفت النظر في شعر ابي البقاء هي سيطرة الصناعة الكلامية عليه سيطرة تكاد تكون تامة. فضروب البديع، جناسا وطباقا وقلبا ركن اساسي من اركان شعره، يتقصدها لذاتها، على حساب الصدق في العاطفة، ويلهث وراءها شغفا في تقديمها كيفما اتفق. والشواهد على ذلك كثيرة اكتفي بتقديم نماذج عنها.

فمن ذلك قوله :

كم دعينا لغيركم فابينا — وضحكتم تدللا وبكينا

يا عقودا قد نظمت وسلوكا — ما وجدنا الى سواها سلوكا

قدر الله ان تكونوا ملوكا — وقضى ان نكون عبيدا

وقوله :

في رياض تبسم الزهر فيها — لغمام بكت دموع دلال

ومنه ايضا :

ولم ار كالحب يا عاذلي — عذابا ولكنه يعذب

ولا كالحبيب وخذلانه — يزيد صدودا اذ يرغب

اذا كنت ارضى بما شاءه — فيا رب ما باله يغضب

وان كان قلبي جنى ما جنى — فيا لهف نفسي من الطلب

ومنه ايضا

وكنت في كلفي الداعي الى تلفي مثل الفراش احب النار فاحترقا

٢ . احتفاله بالصورة والتشبيهات

الصورة عند ابي البقاء تتفاوت في قوتها وصدقها . فهو احيانا يسعى وراءها ويقصدها لذاتها فتأتي نقلا آليا خاليا من قوة الابداع او عنصر الجدة والابتكار، مثقلة بضروب الصنعة . ولعل اصدق مثل اقدمه على ذلك ابيات من قصيدة طويلة مدح فيها امير المسلمين ،وصف فيها الليل :

وليل بته كالدهر طولا تنكر لي وعرفه التمام
كأن سماءه روض تجلى بزهر الزهر والشرق الكمام
كأن البدر تحت الغيم وجه عليه من ملاحته لثام
كأن الكوكب الدري كأس وقد رق الزجاجة والمدام
كأن سطور افلاك الدراري قسي والرجوم لها سهام
كأن مدار قطب بنات نعش ندى والنجوم به ندام
كأن بناته الكبرى جوار جوار والسهى فيها غلام
كأن بناته الصغرى جمار على لباتها منه نظام

وهكذا يمضي بهذه التشبيهات متأثرا على الارجح بقصيدة شبيهة بها لابن هاني الاندلسي ، وكانه يرمي الى اثبات مقدرته على استخدام أداة التشبيه هذه ،وما يتبعها من صور واخيلة فتأتي القصيدة متفككة تفتقر الى الوحدة التأليفية وينعدم فيها الرابط بين الصورة والاخرى .

وهو في معظم تشبيهاته يكرر نفسه ويهتدم صور الشعراء الآخرين او يتأثر بها كثيرا بحيث تأتي صوره قريبة منها فمن ذلك قوله يصف انطباع صورة الهلال في الماء ،وهي صورة سبقه اليها كثيرون :

وهلال صور الحسن به　　في شبيهين سوارا من ذهب

فبصفح الافق نصف قد طفا　　وبصفح الماء نصف قد رسب

ويكرر هذه الصورة في مناسبة ثانية فيقول :

وجدول كلما مر النسيم به　　كساه درعا حفا به حلق

حتى اذا انطبعت ليلا به شهب　　لم تستبن العين فيه انه الافق

وصوره في باب الوصف تتسم اجمالا بالسذاجة الفكرية والكد الذهني فقد قال يصف تفاحة :

تفاحة كالمسك نفاحة　　يصبو اليها الناظر والناشق

جرت بها الحمرة في صفرة　　كما التقى المعشوق والعاشق

ومن قصيدة في التين :

اهلا بتين حسن المنظر　　صور من مسك ومن عنبر

مابرز البرد اذا ذقته　　الهى عن المنظر والمخبر

كانما الباري سبحانه　　حشاه بالسمسم والسكر

فكل ما يريده من هذه الصورة هو في ما يبدو لي تشبيه بذور التين بالسمسم.

على انه يوفق احيانا في تشخيصه لبعض المواقف فتأتي تشبيهاته مبتكرة وطريفة فمن ذلك قوله يصف الخيل والجيش :

وكتيبة بالدارعين كثيفة　　جرت ذيول الجحفل الجرار

ن كل ليث فوق برق خاطف　　بيمينه قدر من الاقدار

من كل ماضي ينتضيه مثله　　فيصب اجالا على اعمار

لبسوا القلوب على الدروع واشرعوا　　باكفهم نارا لاهل النار

فارتاع ناقوس لخلع لسانه　　وبكى الصليب لذلة الكفار

فقوله : "بيمينه قدر من الاقدار" "فيصب اجالا على اعمار" ، "لبسوا القلوب على الدروع" و "ارتاع ناقوس لخلع لسانه" كلها تشبيهات وتشخيص وفق **اليها** ابو البقاء ايما توفيق.

٣ . <u>ولعه بالمعارضات الشعرية</u> :

ان الطول قصيدتين وردتا في الوافي للمؤلف نظمهما على عروض قصيدتين واحدة منهما لابي الطيب والثانية لابن حمديس. فقد قدّم في باب المدح قصيدة ابي الطيب :

اجاب دمعي وما الداعي سوى طلل

ثم قدم بعدها قصيدته في عروضها وهي :

من الظباء تروع الاسد بالمقل وما رمتها بغير الغنج والكحل

وقدّم قصيدة ابن حمديس :

أنكرت سقم مذاب الجسد

ثم اورد بعدها قصيدته في عروضها ومطلعها :

ألثام شف عن ورد ندى أم غمام ضحكت عن برد

ويلاحظ في القصيدتين تأثره البالغ بأبي الطيب وابن حمديس فقد جاراهما في كثير من الصور والتشبيهات والافكار. ففي القصيدة الاولى يبدأ بداية غزلية متتبعا الطريقة القديمة في الاستهلال ،ويأتي بصورة للمرأة مأخوذة عن المفهوم البدوي القديم للجمال فيقول :

وقضيب بان على كثب ولا زهر يسقى ولا دمع بالادمع الهمل

خفت لها وشح على هيف فوفرتها من الارداف بالثقل

ونارة يشتفي منها بثانية كما تداويت بالصهباء من ثمل

ونلاحظ هنا ان الصورة التي رسمها مستمدة من مفهوم الجمال القديم ،بل هو يستعير التعبير : " قضيب على كثيب" بعينه ويقحمه في شعره ،ويكرر هذه الفكرة في البيت الثاني ثم يستعيد في البيت الثالث قول ابي نواس :وداوني بالتي كانت هي الداء

ويأتي بعد هذه الابيات الى بيت التغلر وقد اجاد هنا **الوسط** بحيث جاء انتقاله طبيعيا موفقا لا نفور فيه ،يقول :

بتنـــا نساقي المنى والانس ثالثنا والراح من شنب والنقل من قبل

حتى بدت غرة للصبح مشرقة كمثل وجه ولي العهد يوم ولي

ثم تتلاحق الصور في هذه القصيدة سريعة متفككة بحيث يكون كل بيت صورة مستقلة . وتأتي بعض صوره هذه مبتكرة طريفة ويأتي بعضها متكلفا ثقيلا ،الا ان الصورة لا تصل عنده احلاقا الى مرتبة الابداع الجمالي ،فمن قوله في هذه القصيدة :

وباعث الجيش بعد النذر متئدا فينثني وهو في ثان من النقل

ما نام عن بأسه قوم على فرر الا وايقظهم طيف من الوجل

ولا انتضى عزمه سيفا لهيبته الا تغلغل في الاحشاء كالغلل

فهو يشير الى قوة الممدوح وبأسه ويصور كيف ان الجيش يغور المعركة ، عاصفة قوية سريعة ، ثم يرتد وقد أثار وراءه جيشا آخرا من الغبار المنبعث من قوة وقع حوافر الخيل على الارض. ويصور الرهبة التي يحدثها الممدوح في النفوس حتى ليستيقظ العدو في الليل وجلا ، اذ يبصر طيفه في المنام ،وان ضربته ما كانت الا لتصيب الهدف متغلغلة بالاحشاء .

ويختتم هذه القصيدة ببيت متكلف معنى ومبنى فيقول :

صفات ملك صفات المكرمات له كالنعت كالعطف كالتوكيد كالبدل

ونفس هذه الصورة ترد عنده مرة اخرى في قصيدة ثانية .

٤ . لعل المجال الوحيد الذي يظهر فيه صدق العاطفة ورقة الشعور وصفاؤه عند ابي البقاء ، هو مجال الرثاء . الا ان قوة العاطفة تتفاوت هنا ايضا بحسب قرب علاقة المرثي بالشاعر او بعدها . فرثاؤه في امير المسلمين جاء خلوا من العاطفة ، ينزع منزعا خطابيا تأبينيا ، وقد ترسم فيه خطى ابي تمام في مدح محمد الطوسي في قصيدته التي مطلعها :

كذا فليجل الخطب وليفدح الامر

يقول ابو البقاء :

ما جل خطب كهذا الحادث الجلل ... فليقض حق الاسى بالادمع الهمل

مصاب من فجع الاسلام فيه زمن ... سك المسامع منه هدة الجبل

يا حسرة الدين والدنيا على ملك ... قد كان حسبهما لو مد في الاجل

اما صوته فيختلف عندما يأتي ليرثي والده . انه هنا ينزع منزعين واحدا زهدا رافضا لمتاع الدنيا مرغبا بالآخرة فيقول :

دع الغرور فما للخلد من سبب ... ولا قرار بدار اللهو واللعب

يا بانيا لقصور سوف يتركها ... لمن سيطلكها قسرا بلا تعب

وطالبا لضروب المال يجمعها ... لمن سيأخذها عفوا بلا طلب

وفافلا ابدا عما يراد به — اسرفت في غلواء الغي فاتئب

اما ترى الدهر لا يبقى على احد — اين الملوك وما صانوه في الحجب

يا بن الشباب افق من سكر غمرته — كم من فتى فارق الدنيا ولم يشب

ويا اخا الشيب ماذا انت منتظر — غذ في الرحيل فقد نوديت من كثب

فالدنيا عنده دار لهو ولعب ، وما يدهر الانسان على الارض سوف يأخذه الغير ، والدهر لا يحفل بالكبير ولا بالصغير ولا يبقي على احد . صورة قاتمة سداها ولحمتها التشاؤم والزهد بمتاع الدنيا والدعوة الى "الرحيل".

ومن الحكمة ينتقل الى التفجع والبكاء فيقول :

حقا اصبتنا اودى ابو حسن — سهلا بنا فعسى هذا من الكذب

هيهات هيهات لا امن ولا طمع — زور الاماني خداع بالدموع وبي

اما كفى الدهر من هذى لوالدتي — حتى يضاعف لي وجدى بفقد ابي

مولاى مولاى آلافا اردد ها — لو انها دعوة تشفي من الكرب

لم يبق بعدك لي شيء اسر به — فكيف بعدك لي في العيش من ارب

وله من قصيدة اخرى في رثاء ابنه ويظهر فيها مرة ثانية صدق العاطفة وعمق الشعور بالفاجعة :

وفرة غيرت بالموت بهجتها — كانما كان الدهر فيها ذا حسد

اودعته الترب مغلوبا علي فيا — لهفي وضعت فؤادى في الترب بيدى

اودعتها ولو ان الحال تسعدني لما جعلت لها قبرا سوى كبدي

بني لم يبقى فيك الدهر لي طمعا يا قرة العين او يا قطعة الكبد

فالصورة التي قصد اليها الشاعر هنا هي تشبيه ابنه بفؤاده وانه عندما دفنه في التراب فكأنه قد نزع قلبه من أحشائه ، ويكرر هذه الصورة بشكل آخر عندما يرى في ابنه قطعة من كبده .

ولعل ما تجدر الاشارة اليه هنا ان الشاعر يتخلى في مجال الرثاء وخاصة رثاء الاقرباء ، عن فنون الصناعة البديعية فيأتي شعره خلوا منها ، بينما يمتلىء بها في مواقف شعرية أخرى ، مما يدل على تقصد الشاعر لهذه المحسنات ولو على حساب العاطفة ، وسعيه لاثباتها سعيا يشوه شعره كثيرا وينزل من قيمته .

وما دمنا في باب الرثاء فلا بد لنا من نظرة على قصيدة ابي البقاء النونية التي تعد نموذجا يحتذى به لقصائد رثاء الاوطان ، والتي عن طريقها عرفنا اول ما عرفنا ابا البقاء . ولقد كان من اثر هذه القصيدة وشيوعها ، وتداولها على الالسن واعجاب الناس بها ، ان عمد البعض الى ادخال زيادات عليها . ولقد تنبه الى هذا الامر صاحب نفح الطيب فذكر ، بعد ان اورد القصيدة ، انه يوجد في ايدي الناس بعض الزيادات ، فيها ذكر فرناطة وبسطة وغيرهما ، مما اخذ من البلاد بعد موت صالح بن شريف. وهذه الزيادات لا تقاربها في البلاغة وغالب الظن ، على حد رأي المقري ، ان بعضهم لما اعجبته قصيدة

صالح بن شريف زاد فيها ذكر فرناطة وغيرها استنهاضا لهمم الملوك بالشرق والمغرب (١)

اما القصيدة فهي آية من آيات الصدق في العاطفة ، ونفحة من نفحات النفس المتألمة التي هالها ما صار اليه امر المسلمين في الاندلس من ذل بعد عز ، واستباحة بعد منعة ، ونستطيع ان نقسمها الى اربعة اقسام وذلك على نحو الاغراض التي تتناولها .

القسم الاول ، وهو مطلع القصيدة ، يبدأ بنظرة حزينة واعدة بأمور الدنيا وتغير احوالها . نظرة ترى ان كل ما شاده الانسان ويشيده ، وكل ما كنزه ويكنزه لنفسه ، مصيره الزوال ولو القينا نظرة على التاريخ لتبين لنا ان الدهر في عبوس وضحاه مستمرين ، ان دان لانسان يوما فهو في غد يتمرد ، وان الملوك العظام كلهم قد اندثروا فلا دارا وجبروته ولا كسرى وعظمته ، استطاعا ان يثبتا امام قدرات الزمان ، فيقول : (٢)

لكل شيء اذا ما تم نقصان	فلا يغر بطيب العيش انسان
هي الامور كما شاهدتها دول	من سره زمن ساءته ازمان
وهذه الدار لا تبقى على احد	ولا يدوم على حال لها شان
دار الزمان على دارا وقاتله	وام كسرى فما اواه ايوان

ومن هذا المطلع ينتقل الى القسم الثاني وهو الحديث عن النكبة فاذا بها نكبة مزدوجة اصيبت بها الاوطان والاسلام على حد سواء حتى عز العزاء ، وانقطع سبل الصبر والسلوان :

---

(١) انظر نفح الطيب ٢ : ١٢٤٨ (٢) انظر نفح الطيب ٢ : ١٢٤٦ وازهار الرياض ١ : ٤٧

فواجع الدهر انواع منوعة ... وللزمان مسرات واحزان

وللحوادث سلوان يهونها ... وما لما حل بالاسلام سلوان

دهى الجزيرة امر لا عزاء له ... هوى له احد وانهد ثهلان

اصابها العين في الاسلام فارتزئت ... حتى خلت منه اقطار وبلدان

فاسأل بلنسية ما شأن مرسيـة ... واين شاطبة ام اين جيـان

واين قرطبة دار العلوم فكم ... من عالم قد سما فيها له شان

وبعد هذا ننتقل الى القسم الثالث في القصيدة وقد خصه باستنهاض همم ملوك الشرق والغرب لانقاذ الاندلس ، والاسلام وعمل فيه على التقاطع بين المسلمين وتقاعس الراتعين وراء البحر في عدوة المغرب عن نجدة اخوانهم الملهوفين ، فيقول :

يأيها الملك البيضاء رايته ... ادرك بسيفك اهل الكفر لا كانوا

يا راكبين عتاق الخيل ضامرة ... كأنها في مجال السبق عقبان

وحاملين سيوف الهند مرهفة ... كانها في ظلام النقع نيران

وراتعين وراء البحر في دعة ... لهم باولانهم عز وسلطان

اعندكم نبأ عن اهل اندلس ... فقد سرى بحديث القوم ركبان

ماذا التقاطع في الاسلام بينكم ... وانتم يا عباد الله اخوان

الا نفوس أبيات لها همـم ... اما على الخير انصار واعوان

وبعد هذه الابيات يأتي الى القسم الرابع وفيه يرسم صورة مؤلمة للفاجعة التي حلت باهل الاندلس بعد اندثار اوطانهم وكيف استبيحت اعراض النساء وعرض الناس للبيع في الاسواق فيقول :

يا من لذلة قوم بعد عزهم	احال حالهم كفر وطغيان
بالامس كانوا ملوكا في منازلهم	واليوم هم في بلاد الكفر عبدان
فلو تراهم حيارى لا دليل لهم	عليهم من ثياب الذل الوان
ولو رايت بكاهم عند بيعهم	لهالك الامر واستهوتك احزان
يا رب ام وطفل حيل بينهما	كما تفرق ارواح وابدان
وطفلة ما رأتها الشمس اذ برزت	كأنما هي ياقوت ومرجان
يقودها العلج للمكروه مكرهة	والعين باكية والقلب حيران

ويختتم قصيدته بقوله :

لمثل هذا يذوب القلب من كمد	ان كان في القلب اسلام وايمان

٥ . اما غزل ابي البقاء فقد جاء رصفا كلاميا لا اثر فيه لصدق التجربة الشعورية ، وهو ان دل على شيء فانما يدل على ان صاحبه لم يعان من لوعة الحب ولم يكتو بنيرانه ، ولم يجد وجدا حقيقيا ، يقول من قصيدة :

ايا اخلعا حرها يلهب	ويا ادمعا درها ينهب

عجيب لعمرك شأن الهوى ولكن صبري له اعجب

ولم ار كالحب يا عاذلي عذابا ولكنه يعذب

يرى ان ذنبي حبي له بعيشك قل لي من المذنب

ولعل ما يعيب هذه القصيدة هو تفكك اجزائها وافتقارها الى الوحدة الموضوعية، فقد جاءت مجموعة متنافرة من الصور والتساؤلات لا يربط البيت بالبيت اي رابط.

ومن فرائد قصيدة مربعة تغلب عليها ضروب الصناعة وتخلو من اثر الصدق في العاطفة. فقد راح فيها يخاطب الحبيب في سلسلة من المقابلات حتى يصل الى النهاية التي هدف اليها من وراء نظم القصيدة وهي انه حسبه ان يغفر من الحبيب اليه يقول فيها :

كم دعينا لغيركم فابينا

وضحكتم تدللا وبكينا

يا قساة القلوب رفقا علينا ما خلقنا بين الانام حديدا

يا قدود الغصون عند التثني

ما لكم في عذابنا بالتجني

قد قنعنا حتى نسينا التمني وخضعنا حتى بسطنا الخدودا

آه من ضيعة القلوب لديكم

حسبنا ان نغر منكم اليكم

٦ . شغفه بالغريب وبالتقليد . جاء في الوافي عدد وافر من المقطعات الشعرية التي قد يكون ابو البقاء نظمها لخدمة اغراض كتابه ولعل قيمة هذه المقطعات تكمن في كمية الجهد والكد الذهني اللذين بذلهما في هذا السبيل .

قال في باب التسهيم مثلا :

وفي قمر على غصن ولا غصن ولا قمر

لحوني قبل ان يبدو فلما ان بدا عذروا

وفي القلب :

حبيب لقلبي لعمرى حبيب فريب المعاني بديع عجيب

تقلب الفاظه فيصبح :

حبيب لعمرى لقلبي حبيب بديع المعاني فريب عجيب

وفي القلب ايضا :

تراه لماذا تولى تراه

لماذا ومافي فؤادى سواه

تولى فؤادى الى ان براه

تراه سواه براه هواه

وهذه الابيات تقرأ لولا وعرضا دون ان يتبدل ترتيب الذس. وقال ملغزا في "الصبح" :

وما ابن له ام وليس له اب　　به المثل المضروب لا شك يضرب

له نفر من غير نفر ورائد　　يخبرنا عن هدفه حين يكذب

وفي التجنيس :

ولحظه لا يخيب سهما　　ارق نحو القلوب لامه

ابصر منه العذول وجها　　قد خط فيه العذار لامه

فقال لي هل سلوت عنه　　فقلت لا ما سلوت لامه

فصار فيه اعب مني　　وكان قد عابه ولامه

ويتلاعب احيانا باللفظ في صناعة ظاهرة فيقول :

ملك العليا ولو انصفته　　ففتحت اللام لم افند

والتلاعب ظاهر بين ملك بفتح اللام ثم بكسرها .

ويستعير المتنبي في بيته الشهير فيقول :

اهنأ بها نعما في اثرها نعم　　وسر واسم وصل وجد وسد وصل

وهكذا استطيع ان الخص ختاما خصائص شعره فاقول :

١ — ان الصناعة البديعية على انواعها تغلب في شعره .

٢ — ان الصورة عنده نقلية باهتة لا اثر فيها للخيال ويغلب عليها الكد الذهني .

٣ — والتشبيه عنده ، استطرادا ، تثقله الصناعة البديعية ويفتقر الى الابتكار والابداع.

٤ ــ ان المجال الوحيد الذى برزت فيه شاعريته وصدق العاطفة والشعور هو مجال الرثاء الذى يمتاز على بقية شعره في انه جاء متحررا من التكلف البديعي .

٥ ــ ان الوصف عنده تكرار لصوره ، واهتدام لصور الآخرين في كثير من الاحيان .

واخيرا ، ليس هذا حكما على ابي البقاء الشاعر بقدر ما هو تناول لمختارات من شعره اوردها في كتابه وفرضتها طبيعة ابواب الكتاب فهي لهذا لا تمثل ابا البقاء الشاعر تمثيلا صحيحا .

الوافي في نظم القوافي

عرض وتقييم :

جاء في مقدمة كتاب الوافي قول مؤلفه : ". . . وقد اوردت في كتابي هذا جملة كافية في صنعة الشعر لمن احب ان يأخذ بأزراره ، ويطلع على اسراره ، ويتغنى في بديعه ، ويتبين سقطه من رفيعه . هذا وان كان من سلف قد سبق في هذا المضمار ، وكاد لا يبقي منه الا كتقدير الاعمار ، فأنت ترى كيف أتى السابق بما ادرك ، ثم اتى اللاحق فنقض واستدرك وفي كل شجرة نار ، واستمجد المرخ والعفار " الى ان يقول : " وربما بلغ المتأخر بشرف الاطلاع ما لم يبلغه المتقدم بفضل الاختراع ". (١)

بهذا يوجز لنا ابو البقاء موضوع كتابه والقصد من تأليفه ، فهو ـ الكتاب :ـ

١ . يحوي جملة كافية في صنعة الشعر ومجموعة شعرية واسعة منتقاة بذوق ادبي وحس فني مرهف.

٢ . يساعد المهتمين بصناعة الشعر والراغبين فيه من الوقوف على اسراره والتفنن في بديعه .

٣ . ويمكن الراغبين بالشعر من تنمية ذوقهم الادبي بحيث يصبح باستطاعتهم ان يتبينوا سقطه من رفيعه .

---

(١) انظر الوافي في نظم القوافي : ٢

٤. وهو اخيرا اذ يقدم على التأليف في هذا الموضوع يدرك تمام الادراك الصعوبة التي تواجهه الا انه يتسلح بثقته بان مجال النقض والاستدراك واسع وبأن اطلاعه — وهو المتأخر — ربما ساعده على التفوق على اختراع المتقدمين ، من السلف.

فهل وفق ابو البقاء حيث اراد ذلك اولا ؟ هذا ما سأحاول الاجابة عليه بعد ان اعرض بسرعة لمحتويات الكتاب .

قسم المؤلف كتابه في اربعة أجزاء وكل جزء الى ابواب. فجعل الجزء الاول اربعة ابواب، الباب الاول في فضل الشعر ومن أثاب عليه ، اورد فيه ذكر عشرين شاعرا وترجم لبعضهم نقلا عن بعض المصادر كاليتيمة للثعالبي وقلائد العقيان للفتح بن خاقان وزهر الآداب للحصري ، واورد نماذج من شعر كل واحد منهم . ومن هؤلاء الشعراء كعب بن زهير في قصيدته التي مدح بها الرسول (صلعم) والفرزدق في مدحه لهشام بن عبد الملك ، والخلفاء الذين عزى اليهم قول الشعر ومنهم الخلفاء الراشدون الاربعة ، ثم الائمة والقضاة ، وبعض مشاهير الشعراء كالمتنبي وابي فراس وابن المعتز والمعتمد وتميم بن المعز.

والباب الثاني من الجزء الاول حصره بالشعراء وابياتهم وصنفهم في ثلاث فئات : جاهلي ومخضرم واسلامي ، وجعل رؤوس الجاهليين الستة المشهورين ورأسهم امرأ القيس ، كما جعل رأس المخضرمين حسان بن ثابت وقسم الشعر الاسلامي الى قسمين : محدث

ومخضرم. وجعل بين المحدثين المتنبي والاشجع السلمي والسيد الحميري ورأسهم بشار. اما المولدون فجماعة منهم مسلم بن الوليد وابو الشيص والرقاشي ورأسهم ابو نواس الحسن بن هانئ.

وسمى الباب الثالث عمل الشعر وآدابه. بدأه بتحديد معنى الشعر فاذا به يقوم، بعد القصد، على اللفظ والمعنى والوزن والقافية. وهو في هذا الباب يتوجه الى من "يروم عمل الشعر ان يتحرى اوقات الفراغ وامكنة الخلوة ولا يعمل شيئا من الشعر حتى يشتهيه... واذا سئم فليرح نفسه، ولا يكره لبعه. ويطالع من اشعار الناس ما يستجيده في المعنى الذي يريده، وينبغي ان ينقح ويختار، ويثقف من امر شعره، ويعرض كلامه على من يثق بمعرفته" فهو هنا يشدد على النواحي النفسية اكثر من تشديده على النواحي الفنية، هذه الشروط التي يمكن ان تلخص بالضرورات التالية :

١. توفر الجو الهادئ للشاعر اثناء عملية الخلق الشعري وذهوله عن كل ما يحيط به.

٢. ضرورة حصول الاستعداد النفسي لدى الشاعر قبل ان يقدم على عملية قرض الشعر.

٣. اهمية الثقافة الشعرية الواسعة لدى من يروم عمل الشعر

٤. اعادة النظر بكل ما تجود به قريحة الشاعر، ثم تنقيحه وتهذيبه قبل ان يعرض به على الناس.

في الباب الرابع والاخير من الجزء الاول يتناول المؤلف اغراض الشعر وهي بحسب تقسيمه لها ثمانية : النسيب والمدح والتهنئة والرثاء والاعتذار والعتاب والذم (الهجاء) والوصف. وهو يقدم لكل غرض منها بمقدمة انشائية مسجعة ثم يوالي تقديم الشواهد الشعرية، وهي في كل باب كثيرة متعددة لشعراء مغاربة ومشارقة، وذلك دون ان يتناول ايا منها بنقد او تقييم، الا في القليل النادر جدا من الحالات، بحيث يغلب على الكتاب اسلوب السرد المجرد، لا اسلوب البحث العلمي والنقد الادبي . فهو على سبيل المثال يقدم باب المدح بقوله : " المدح محبوب بالطبع، شهي للسمع، والنفوس في حبه متفقة ، والمدائح حلل قدت على قدود الكرام، ولذلك لا تلائم اللئام، ومدح اللئيم هجو له في المعنى لانه تصفه بما لا يعرفه". واحيانا يغالط تعريفاته هذه رأي فني سريع كأن يرى ان من شروط النسيب ان يكون " اللفظ رشيقا والمعنى رقيقا" وهذه هي الاشارة الوحيدة عنده الى اهمية ترابط اللفظ والمعنى في الشعر. ويعرّف الوصف بقوله انه " ذكر الشيء بما يصوره في النفس كهيئة في الحس ويمثله للخيال بما له من الهيئات والاشكال". ويقسم الرثاء الى توجع وتأبين وتعزية. ولكنه عندما يورد الشواهد الشعرية على كل غرض من هذه الاغراض لا يسعى ابدا الى محاولة الربط بين النظرية التي يطلقها والشواهد التي يقدمها . فلا يتحدث عن اللفظ والمعنى ، او الحس والخيال في الوصف، ولا يحدد شواهد التوجع والتأبين والتعزية في الرثاء .

في الجزء الثاني تناول المؤلف محاسن الشعر وبديعه وقسمها الى اربعين بابا

" تروق الناظر وتفوق بها المحاضر" وجميع هذه الابواب من انواع البديع المعروفة والتي تناول نقاد الشعر القدماء معظمها . وقد اكثر من الشواهد الشعرية على كل من هذه الابواب بما لا مزيد عليه من حسن الاختيار ودقة المطابقة .

وفيما يلي ثبت اوردت فيه ابواب البديع كما جاءت في الوافي مرتبة حسب الحروف الهجائية مع ما يقابلها عند اربعة من القدماء هم ابن رشيق في العمدة ،وابو هلال العسكري في الصناعتين ،وابن ابي الاصبع في تحرير التحبير ،وقدامة بن جعفر في نقد الشعر . ويلاحظ في هذا الثبت ان ابا البقاء يلتقي كثيرا في تسمياته مع ابن رشيق وابن ابي الاصبع، كذلك ينفرد ببعض الابواب كالقلب والتمثل والتحرز ،ثم التوجيه والتذييل اللذين يقدمهما على انهما من انواع التشبيه ،ويعطي لبعض انواع الجناس ابوابا مستقلة كباب التصحيف مثلا الذي اورده صاحبا الصناعتين والتحرير والتحبير في باب الجناس .

الوافي	تحرير التحبير	الصناعتين	العمدة	نقد الشعر
الابتداء	الابتداء	—	المبدأ	—
الاتباع	الارداف والتتبيع	الاتباع	التتبيع	—
الاحالة	حسن الاتباع	حسن الاتباع	الاتباع (١)	—
الاستثناء والاستدراك	الاستثناء	الاستثناء	الاستثناء	—
الاستطراد	الاستطراد	الاستطراد	الاستطراد	—
الاستعارة	الاستعارة	الاستعارة	الاستعارة	الاستعارة
الاطراد	الاطراد	—	الاطراد	—
الالتفات	الالتفات	الالتفات	الالتفات	الالتفات
الانتهاء	حسن الخاتمة	—	النهاية	—
التبديل	التخيير	—	—	—
التتميم	الايغال	الايغال	التتميم	الايغال
التجنيس	التجنيس	التجنيس	التجنيس	المطابق والمجانس
التحرز	—	—	—	—
التحريف	الاستدراك والرجوع	الرجوع	—	—
التختيم	—	—	—	—

(١) اورده ابن رشيق تحت باب السرقات، العمدة ٢ : ٢٩١

الوافي	تحرير التحبير	الصناعتين	العمدة	نقد الشعر
التخييل	—	—	—	—
الترديد	الترديد	—	الترديد	—
الترصيع	الترصيع	الترصيع	الترصيع	الترصيع
التسجيع	التسجيع	التسجيع	—	التسجيع
التسهيل	التسهيل	—	—	—
التسهيم	التسهيم	التوشيح	التسهيم	التوشيح
التشبيه	التشبيه	التشبيه	التشبيه	التشبيه
التصحيف	التصحيف	التصحيف	التصحيف (١)	—
التصدير	رد الاعجاز على الصدور	رد الاعجاز على الصدور	التصدير	—
التضمين	الاستعانة	—	التضمين	—
التفريع	التفريع	—	التفريع	—
التفسير	—	التفسير	التفسير	التفسير
التفصيل	التلوم	—	—	—
التمثل	—	—	—	—

(١) جاء التصحيف في تحرير التحبير تحت باب الجناس وكذلك في الصناعتين وجاء في العمدة تحت باب المضارعة التي جاءت ايضا تحت باب التجنيس وسماه صاحب العمدة المضارعة بالتجنيس

الوافي	تحرير التحبير	الصناعتين	العمدة	نقد الشعر
التمثيل	التمثيل	—	التمثيل	التمثيل
التوجيه	—	—	—	—
القلب	—	—	—	—
لزوم ما لا يلزم	الالتزام	—	—	—
اللغز	الالغاز	—	اللغز	—
المبالغة	الافراق (١)	المبالغة	المبالغة	المبالغة
المضارعة	—	—	المضارعة	—
المطابقة	الطباق	المطابقة	المطابقة	المطابق والمجانس
المقابلة	صحة المقابلات	المقابلة	المقابلة	—
المناسبة	المناسبة	—	—	—
نفي الشيء بايجابه		نفي الشيء بايجابه	نفي الشيء بايجابه	—

(١) لم يرد في تحرير التحبير ذكر للمبالغة بل جاء ذكر الافراق والغلو، وقد نعت صاحب الكتاب الافراق بانه فوق المبالغة ودون الغلو، على ان الشواهد التي يقدمها ينطبق عليها نعت المبالغة عند الآخرين

وفي الجزء الثالث تحدث عن عيوب الشعر وجعلها ثلاثة عيوب رئيسية هي الاخلال والسرقة والضرورة. ثم تناول كلا منها مستقلا عن الآخر. فالاخلال تسعة اضرب سماها واعطى الشواهد على كل منها، والسرقة ثلاثة اضرب، ايضا سماها واعطى الشواهد على كل منها، وكذلك فعل فيما يتعلق بالضرورة.

ويختتم المؤلف كتابه بالجزء الرابع الذي افرده للحديث عن حد الشعر والعروض والقافية، تناول فيه القاب البيت والقاب الاجزاء ثم انواع الشعر والقابها واوزانها وجعلها خمسة عشر وزنا قديما وتسعة محدثة. وقد تكلم بتفصيل دقيق عن البحور واعاريضها وضروبها وما يعرض لها من علة وزحاف وختمها بذكر الاجزاء التي يتركب منها كل بحر منظومة في ابيات شعرية من نظامه. منها مثلا :

ومثل اويل الشعر ما انا قائل　　فعولن مفاعيلن فعولن مفاعل

ثم يختم كتابه بفصل عن القوافي وعيوبها.

<u>هذا الوافي في نظام القوافي من النقد</u> :

من مراجعة هذا الكتاب يتضح لنا انه كتاب يرتكز على السرد لا النقد والمناقشة، فهو يقدم للقارئ مجموعة واسعة من الشواهد الشعرية والنوادر الادبية، كما يتصدى لترجمة

حياة عدد من الشعراء نقلا عن مصادر ادبية معروفة يذكرها صراحة . وهو في كل هذا يكاد لا يبدي رأيا ، ولا يناقش قضية ، ولا يتصدى بتعليق . والحقيقة ان صوت ابي البقاء ارتفع ناقدا مرات ثلاثا فقط ، وجاء في المرات الثلاث سريعا مقتضبا .

اما المرة الاولى فكانت عندما دخل الاخطل على معاوية وقال له اني امتدحتك بابيات احب ان تسمعها . فقال معاوية ان كنت شبهتني بالاسد والصقر فلا حاجة لي بها اما ان كنت قلت كما قالت الخنساء فهات ، واسمعه الابيات . فقال الاخطل قد قلت فيك بيتين ما هما بدونهما وانشده :

اذا مت مات العرف وانقطع الندى ... فلم يبق الا من قليل مصرد

وردت اكف السائلين واسكوا ... عن الدين والدنيا بخلق مجدد

وعلق ابو البقاء قائلا : قلت أنا : وهذا من الاخطل غاية الخطل ، اتى بشيء يكون اسوأ من مواجهة ملك بموته ، ثم ييأسه من حسن خلفه من بعده .

والمرة الثانية التي ارتفع فيها صوته ناقدا كانت عندما قدم في باب رثاء النساء بيتا للمتنبي في رثاء اخت سيف الدولة هو :

فان تكن خلقت انثى فقد خلقت ... كريمة غير انثى العقل والحسب

وعلق قائلا بان هذا غير جيد لانه جعل انوثتها عيبا وذكر العيب عيب . والواقع ان

ابا البقاء قد سبق الى هذا الراى

والمرة الثالثة والاخيرة كانت عندما دخل اعرابي على مجلس الاصمعي وسأله ان ينشده من بعض شعر اهل الحضر، فانشده من في المجلس قول عدى ابن الرقاع العاملي :

وناعمة تجلو بعود أراكة مؤشرة يسبي المعانق طيبها

الى آخر الابيات فانتقدها الاعرابي وانشد من عنده قوله :

تعلقتها بكرا وعلقت حبها وقلبي من كل الورى فارغ بكر

اذا احتجبت لم يكفها البدر ضؤها وتكفيها ضؤ البدر ان حجب البدر

الى آخر الابيات.

وبعد سماع الاعرابي قال الاصمعي : اكتبوا ما سمعتم ولو باطراف المدى في رقاع الاكمام . اما ابو البقاء فعلق بقوله : قال صاحب الكتاب : قول الاعرابي في ابيات عدى ابن الرقاع ليس بشيء وهو احسن من ابياته .

وفي ما عدا هذه المرات الثلاث لم نسمع صوت ابي البقاء بتاتا . والحقيقة التي نخلص اليها هي ان عنصر النقد الادبي في الكتاب ضعيف جدا ان لم يكن منعدما . وان الصفة التي تغلب على اسلوب التأليف هي صفة السرد والاخبار وايراد الشواهد الشعرية

بكثرة. وعلى هذا فاني اعتقد ان اى تقييم لهذا الكتاب يجب ان يرتكز على الشكل لا الاساس. فالاساس فيه ،اعني موضوع الشعر ،اغراضه وبديعه وعيوبه وعروضه وقوافيه ،هو مثله في غيره من المصادر يكاد لا يزيد عليها بشيء ولا يناقضها برأى. اما من حيث الشكل فهو كتاب له ميزته وقيمته كما سأبين بعد قليل.

الوافي والعمدة

قدمت في ما سبق عرضا سريعا لابواب الوافي في نظام القوافي ولعل الانطباع الاول الذى يخرج به من يطالع الكتاب هو مدى تأثير ابي البقاء بطريقة ابن رشيق في التأليف ،فأبواب كتاب الوافي قد وردت كلها في العمدة ،حتى ليصح اعتبار الوافي تلخيصا امينا لكتاب ابن رشيق. ولو جئنا لننزع من كتاب العمدة الفصول التي ورد مقابل لها في كتاب الوافي لخرجنا بنتيجة مذهلة. وذلك ان الاسلوب والشواهد في كثير من الاحيان وخاصة في باب البديع تكاد تكون واحدة ،كذلك الشواهد على شعر الخلفاء والفقهاء والحديث عن حد الشعر وافضل الاوقات لنظمه ،والعروض والقافية. واذا كان ابن رشيق يناقش الآراء ،ويستشهد باقوال العلماء والفقهاء لتأييد نظرية او دعم فكرة ،ويحلل ويقيّم ، فان ابا البقاء قلما يستشهد ونادرا ما يناقش او يحلل. ان همه الاول وقصده الرئيسي من التأليف هو فيما يبدو لي السرد واختيار الاحسن من الشواهد الشعرية لتزيين صفحات

كتابه بها . والاختيار قد يكون هدفه الاساسي فهو يقدم شواهد كل فرن من افراد الشعر بقوله : ومن المختار في الباب .

ماذا يبقى من كتاب الوافي اذا ؟ وما هي مميزاته التي قد تجعل له قيمة ادبية بين كتب الشعر .

الحقيقة انه رغم كل ما تقدم يبقى للكتاب الكثير وتبقى له مميزاته التي قد ينفرد بها وهي :

١ — تقسيمه :

انه كتاب مقسم تقسيما واضحا لا تداخل فيه باجزائه الاربعة وابواب اجزائه المختلفة بحيث لا يجد الباحث صعوبة في الرجوع الى ما يريد فيه

٢ — شموله :

جاء هذا الكتاب رغم صغر حجمه تلخيصا جامعا لكل فنون الشعر الرئيسية وقضاياه ، فلم يترك شاردة او واردة من شوارد الشعر وموارده الا وتناولها باسلوب علمي موضوعي جاء تكثيفا دقيقا واميناً لموضوع واسع متشعب الاطراف.

٣ — غني مادته الادبيـــة :

فهو يضم بين دفتيه مجموعة شعرية واسعة ممتازة لشعراء مغاربة ومشارقة كلها منتقاة بذوق ادبي عال وحس فني مرهف. كذلك نجد فيه مجموعة كبيرة من النوادر والحكايات الادبية ماخوذة عن عدة مصادر كالاصمعي والمبرد والمفضل الضبي والعتبي وبعض معاصريه كالهيثم الاشبيلي . وكلها نوادر ظريفة ممتعة تضفي على اسلوب التأليف جوا من الطلاوة البعيدة عن جفاف الاسلوب العلمي .

٤ — انه يحتوي على مجموعة كبيرة من شعر ابي البقاء في كل باب وفرش من ابواب الشعر واغراضه . فاذا ما تذكرنا ان شعر ابي البقاء مجهول بمعظمه لدينا ، امكننا القول ان هذه الميزة بالذات قد تأتي بالمرتبة الاولى من حيث الاهمية ، بين مميزات الكتاب الاخرى .

٥ — ان الجزء الرابع من الكتاب الذي تناول فيه المؤلف حد الشعر والعروض والقافية يمكن ان يؤخذ ككتاب مستقل بذاته نظرا لشمول مادته واستيفائه لكل ما يحوي هذا الباب من عيوب وجوازات وضرورات وما الى ذلك ، مما لم يتوفر في كتاب كالعمدة مثلا او نقد الشعر .

٦ — ثمة بعض الموضوعات التي وردت في الكتاب والتي يمكن التنويه بها لطرافتها .

منها مثلا باب التفصيل وهو ان يقسم الشعر بقسمين او اكثر في مواضع متوازية من ابياته ، فان فصل منهما قسم من كل بيت عما قبله كان الباقي تام الوزن والمعنى وقدم شواهد عديدة على ذلك، منها شاهد مؤلف من بيتين يتفكك الى تسع وستين قطعة بيّنها كلها (١) .

وهناك باب التختيم (٢) وهو ان تكتب ابياتا تصنع في شكل خاتم تتقطع اشطاره ويشترك ما يتلاقى منهما في مواضع التقاطع في لفظة او حرف واحد او اكثر. وقد قدم على هذا الباب مثلين مع صورة خاتميهما بشكل لطريف جدا . وفي باب القلب قدم امثلة كثيرة اطرفها مثل له يقرأ طولا وعرضا وهو (٣) :

تراه لماذا تولى تراه

لماذا وما في فؤادي سواه

تولى فؤادي الى ان براه

تراه سواه براه هواه

وفي باب اللغز كذلك قدم عددا كبيرا من الشواهد الشعرية والنثرية مع الشروح على كل منها .

. . ولعل من ميزات هذا الكتاب ايضا ان العقدة المشرقية لم تكن مسيطرة فيه على مؤلفه . اعني بذلك ان القسم الاكبر من الشواهد الشعرية التي قدمها ، وخاصة في باب الوصف، كان لشعراء مغاربة ، وان قسطا الشعر المشرقي فيه لم يتعد الثلث بحيث

---

(١) انظر الوافي : ١٢٠ (٢) المصدر السابق ١٢٥—١٢٦ ؛ (٣) المصدر السابق : ١١٥

يصح القول ان الشعر فيه ليس " بضاعتنا ردت الينا" بل هي بضاعة جديدة مغربية المنشأ والمصدر.

٤ — واخيرا قد يكون من مزايا هذا الكتاب ، وجلال قيمته ،انه يظهر الى النور لاول مرة شخصية ادبية ظل الغموض يكتنفها اجيالا طوالا وكان يمكن ان تكون بحكم المجهولة لولا النونية المشهورة في رثاء الاندلس،عنيت شخصية ابي البقاء الرندي.

<u>مصادر كتاب الوافي</u>

يمكن تقسيم مصادر ابي البقاء الى ثلاثة اقسام :

١ — الدواوين الشعرية لاكثر الشعراء الذين استشهد بشعرهم. وقد ذكر مرة انه رأى بيتا من الشعر ،ذكره ،في ديوان الخفاجي بخط يد الخفاجي نفسه. ويوجد في الكتاب قصائد طويلة استشهد بها في مجالات مختلفة للمتنبي وابي تمام وابن حمديس وابن زيدون وغيرهم،مما يظهر انه كان يملك دواوينهم.

٢ — ما سمعه هو شخصيا من معاصريه من الادباء والشعراء من نوادر وشواهد ادبية ذكرها في كتبه مع مصادرها ،كأن يقول حدثني ابو علي القصري وقد لقيته في سهلسته ، او حدثني فلان من اهل عصرنا او حدثني بعض الصوفية في مالقة.

٣ ــ المصادر الادبية الاخرى وهي :

١ . يتيمة الدهر للمسعودي ، وقد نقل عنها نقلا حرفيا ، واشار الى ذلك عندما ترجم للمتنبي وابي فراس وآل حمدان . وقد يكون استعان بها ايضا في اخذ بعض استشهاداته الشعرية .

ب ــ قلائد العقيان للفتح بن خاقان وقد نقل عنه حرفيا ، واشار الى ذلك ، عندما ترجم للمعتمد بن عباد واورد له نماذج من شعره ، كذلك عندما استشهد بأبيات لابي بكر الداني نعته بانه " من شعراء القلائد " .

ج ــ العمدة في صناعة الشعر لابن رشيق وقد اخذ عنه الكثير من الاستشهادات الشعرية مشيرا الى ذلك احيانا ومتجاهلا احيانا . وفي نسخة ليدن من المخطوطة باب كامل من ابواب البديع ، هو باب الاستثناء ، مأخوذ بمجمله عن ابن رشيق دون الاشارة الى ذلك .

د ــ الكامل للمبرد وقد رجع اليه فيما يبدو لي عندما كتب الجزء المتعلق بالعروض والقوافي اذ جاءت جميع استشهاداته تقريبا منقولة عنه .

هـ ــ الاصمعي والمبرد والجاحظ والمفضل الضبي وابو علي القالي والمصري وصاحب زهر الاداب وقد اخذ عنهم كثيرا من الطرائف الادبية والنوادر والالغاز .

و — ابن جني وسيبويه وابن سيدة صاحب المخصص وقد رجع اليهم في بعض الاراء المتعلقة بعيوب الشعر وعروضه وقوافيه وجوازاته .

ز — واستطيع ان اجعل هنا ديوان المتنبي مصدرا مستقلا عن مصادر الكتاب فقد استشهد بشعره بكثرة في كل باب من ابواب الشعر وجزء من اجزائه ومجال من مجالاته . ونظرة سريعة الى باب "المثل" وهو احد ابواب البديع او المدح او الرثاء او الى باب عيوب الشعر توضح صحة ما اقول .

النسـخ التي اعتمدتهـا في تحقيـق

" الوافي في نظـم القوافي "

أ . نسخة الكتاني : وهي التي رمزت اليها بالحرف "ك" في الهوامش. تقع في ١٩٢ ورقة ،وصفحتها تحتوي ٢١ سطرا . مكتوبة بخط مغربي جميل وواضح ،وقد ضبطت كلماتها ضبطا جيدا . الا انه يوجد فيها عدد كبير من الاخطاء الاملائية وخاصة في كتابة الالف المتطرفة ،وفي افعال الالف الفارقة بعد واو الفاعل . وكذلك يوجد اختلافات كثيرة في رواية الشعر بين هذه النسخة والدواوين والمراجع الادبية التي اعتمدتها ،غير ان هذا الخلاف لا يخل بالوزن ،وقلما يبدل من المعنى المقصود ، مما يدل على ان الناسخ كان مقتدرا في مجالي الادب والعروض.

والنسخة هذه جاءت خالية من اسم الناسخ او تاريخ النسخ ولا يوجد عليها اية تملكات.

ب. نسخة الرباط وتحمل الرقم د ١٧٦٦ ،وقد رمزت اليها بالحرف ر. وهي تقع في ١٤٧ ورقة ،وصفحتها تحتوي على ٢٦ سطرا ،مكتوبة بخط مغربي صغير غير واضح ، وهي خالية من الضبط ،وأخطاؤها الاملائية قليلة ،وتتفق غالبا في ايراد النصوص الشعرية مع الدواوين والمراجع الادبية التي اعتمدتها . وهي تتفق في مادتها مع نسخة الكتاني

الا في موضعين ، حيث تزيد عليها مرة وتنقص عنها مرة . وقد اشرت الى ذلك في الهوامش في سياق التحقيق . وهي مليئة بالعواشي التي لا قيمة لها . وقد جاءت خالية من اسم الناسخ وتاريخ النسخ .

ج . نسخة ليدن : وقد رمزت اليها بالحرفين "لد" وهي تقع في ١٢٦ ورقة وصفحتها تحتوي على ١٩ سطرا . ويعود تاريخ نسخها الى عام ١٢٩١ للهجرة . على يد محمد عراقي وحفني ناصف البركاوي وهي على ملك محمد ابو زيد وهنالك تباين واضح بين مادة هذه النسخة والنسختين المغربيتين فهي تزيد في مواضع وتنقص في مواضع . الا ان الزيادات فيها اكثر وخاصة في باب الوصف ، وهو احد اغراض الشعر التي افرد لها المؤلف عددا كبيرا من الصفحات ، كذلك فان قسما كبيرا من الزيادات الشعرية التي وردت فيها قد نسبت للرندي نفسه .

طريقة التحقيق التي اتبعتها :

بعد استعراضي للنسخ الثلاث وجدت :

١ . ان نسختين منهما تخلوان من تاريخ النسخ واسم الناسخ .

٢ . ان تاريخ نسخ مخطوطة ليدن حديث جدا لا يرقى الى اكثر من تسعين عاما

٣ . ان ليس بين النسخ الثلاث نسخة كاملة تشمل مادة جميع النسخ ، بل كل واحدة

منها تزيد في مواضع وتنقص في مواضع اخرى .

امام هذه الوقائع استحال علي ان اعتمد نسخة معينة في التحقيق لصعوبة تعيين الاقدم عهدا بينها اولا ، ولعدم شمول اية نسخة منها لكل مادة الكتاب ، لهذا وجدت ان الطريقة المثلى للوصول الى اعطاء اوضح صورة عن موضوع الكتاب هي في التوفيق بين هذه النسخ الثلاثة . وهكذا كان ، فقد راعيت ايراد النص الصحيح في المتن ، وايراد جميع الزيادات ، مشيرا في الهامش الى الخلافات ان وجدت ، والى الزيادات أنى وردت .

ثم عملت جهدي على ان ارجع جميع الابيات الشعرية الى مصادرها فما كان منها لشاعر له ديوان مطبوع فقد رجعت الى الديوان وما عدا ذلك فقد سعيت الى تخريجه من المصادر الادبية ونسبت الابيات الى اصحابها حيثما امكنني ذلك .

وقد قسمت الهامش في قسمين ، القسم الاول جعلت ترقيمه بالارقام العربية وخصصته لايراد الخلافات بين النسخ ، وللتخريجات الشعرية ، اما القسم الثاني من الهامش فقد جعلت ترقيمه بالارقام الافرنجية وخصصته للتعريف بالاعلام الوارد ذكرها في المخطوطة ولتفسير معاني الكلمات الصعبة .

وبعد ، فقد كان عملي في تحقيق هذا الكتاب دربة مفيدة ، اتاحت لي ابوابا جديدة من المعرفة ، وفرت علي ضربا من الدقة العلمية ، ولكني لا ازال احس ان ضيق

الزمن الذى توفرت فيه لى انجاز هذا العمل قد حال بيني وبين بعض النواحي التي تتطلب مزيدا من الاستقصاء ،على أني ارجو ان يكون التوفيق قد حالف الجهد الذى بذلت،فلستعفو عن تقصير بمقدار ما اطمح الى مزيد من التحسين ،والله الموفق .

مقدمة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلّم .

قال الشيخ الجليل الفقيه القاضي أبو الطيب ابن الشيخ الاجل الفقيه المكرم المرحوم (١) أبي الحسن بن شرف الرندي أعزه (٢) الله تعالى (٣) ونفعنا به (٤) ، الحمد لله الذي خلق الانسان وعلّمه البيان وأظهر بقدرته عجائب حكمته فعقل العقل ، وترجم اللسان ، وأمطر رياض الافهام ، بصوب الالهام ، فتفتقت أكمام البدائع في افنان الافنان وصلى الله على محمد سيّد ولد آدم ، وصفوة العالم ، صلاة تملأ ما حوى المكان والزمان ، وعلى آله الكرام ، وصحبه الاعلام ، والتابعين لهم باحسان .

وبعد فان الادب جليس ممتع ، وأنيس مقنع ، وخل لا يخل ، وإلف لا يمل . وقد قال الحكيم : خيرُ الاشياءِ للمرءِ عقل يولد به ، فان لم يكن فأدب يكتسبه ، فان لم يكن فمال يستر عليه فان لم يكن فموت يريحه ويريح منه ، وقال الشاعر :

ما وهبَ اللهُ لامرئٍ هبة أفضلَ من عقلٍ ومن (٥) أدبه

هما حياةُ (٦) الفتى فان فقدا فقدهُ للحياة ألْيقُ به

---

(١) الفقيه المكرم المرحوم : سقطت من ر .
(٢) ر : رحمه .
(٣) تعالى : سقطت من ر .
(٤) ونفعنا به : سقطت من ك و ر .
(٥) من : سقطت من ك و ر .
(٦) لد : جمال .

والى هذا فان الشعر ديوان العرب، وايوان الأدب، وزهرة الكلم، وروضة الحكم، وهو لا محالة محبوب بالطبع شهي للسمع، فطرة الله التي فطر النفوس الفاضلة[١] عليها، وهدى العقول الكاملة اليها، ولذلك ما خلته[٢] بالاذهان العطرية، والنفحات العنبرية، حتى انه ليريح[٣] الارواح، ويفصل فيها ما لا تفصله الراح. لا جرم انه مقبول الشواهد، معقول الشوارد، سائر المثل باهر الغزل، جميل الثناء، اليم الهجاء، يثبت[٤] رسمه في الاعقاب، ويبقى وسمه مع الاحقاب، لذلك قال بعض السلف: تعلموا الشعر فان له محاسن تنتقى، ومساوئ تتّقى، وقال[٥] حبيب[1]:

ولم ار كالمعروف تدعى حقوقه ... مغارمَ في الاتوام وهي مغانم

ولا كالعلى ما لم ير الشعر بينها ... فتالا ولم تفصل لنا فيها معالم

وما هو الا القولُ يسرى فتهتدى[٦] ... له غررٌ في أوجهٍ ومواسم

يرى حكمةً ما فيه وهو فكاهة ... ويرضى[٧] بما يقضي به وهو ظالم

ولولا خلالٌ سنّها الشعرُ ما درى ... بناةُ العلى من أين تؤتى المكارم

وقد أوردت في كتابي هذا جملةً كافية في صنعة الشعر لمن أحبّ[٨] ان يأخذ

---

(١) الفاضلة: سقطت من ر. (٢) ر: مالحته. (٣) ر: ليروح.
(٤) ر: ينبت. (٥) انظر ديوان أبي تمام: ٢٨٥ (طبعة محي الدين الخياط)
(٦) الديوان ولد: فيهتدى. (٧) الديوان: ويقضي. (٨) ر: أوجب.

---

(1) حبيب بن أوس بن الحارث الطائي (١٨٨–٢٣١ هـ/ ٨٠٤–٨٤٦ م) شاعر عباسي ولد في قرية جاسم بحوران. مدح المعتصم وولي بريد الموصل. له ديوان مطبوع. انظر الاغاني ١٦: ٣٠٢ (دار الثقافة، بيروت ١٣٨١هـ/١٩٦٢م) وداعرة المعارف الاسلامية ١: ٣٢٠

بأزراره ، ويطّلع على أسراره ، ويتفنن في بديعه ويتبين سقطه من رفيعه • هذا وان كان من سلف قد نسق[1] في هذا الضمار ، وكاد لا يبقي منه الا كتقدير الاضمار ، فأنت ترى كيف أتى السابق بما أدرك ، ثم جاء[2] اللاحق فقفّر ، واستدرك ، وفي كل شجر نار ، واستمجد المرخ والعفار[1] • وربما بلغ المتأخر بشرف الاطلاع ، ما لم يبلغ المتقدم بفضل الاختراع ، ولا شك ان للقول بابا لا يسد وللاختيار شأوا لا يحد ولولا ذلك لسدّ الباب واكتفي في كل علم بكتاب • وسمّيت كتابي هذا بالوافي في نظم القوافي ، وقسّمته أربعة أجزاء تتضمن ما[3] فيه من الاجزاء بحول الله تعالى[4] •

الجزء الأول وفيه أربعة أبواب :

---

(١) ر : سبق • (٢) ر : أتى • (٣) ما : سقطت من ر •
(٤) بحول الله تعالى : سقطت من ر •

---

(1) المرخ شجر كثير الورق سريعه • وفي المثل : في كل شجر نار ، واستمجد المرخ والعفار ، اى دهنا بكثرة ذلك • واستمجد استفضل • قال ابو حنيفة معناه اقتدح على الهدينا • وقيل العفار الزند وهو الاعلى ، والمرخ الزندة وهو الاسفل • انظر لسان العرب ١٢ : ٥٢ •

١٠ الباب الاول في فضل الشعر

ومن تكلم به واثاب عليه

١ . الباب الاول في فضل الشعر ومن تكلّم به وأثاب عليه

قال الله تعالى ﴿يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا﴾ (سورة البقرة : ٢٦٩) وقال عليه السلام : انّ من الشعر لحكمة [١]. وقد ندب عليه السلام حسان بن ثابت [1] اليه وحضه عليه ، وقال ان روح القدس ليؤيده [٢] ما دام ينافح عن نبيه . ولما أنشده قصيدته [٣] التي يقول فيها لبعض كفار قريش :

هجوت محمدا وأجبت عنه وعند الله في ذاك الجزاء

قال عليه السلام : جزاؤك الجنة يا حسان . فلما قال :

فان أبي ووالدتي [٤] وعرضي لعرض محمد منكم وقاء

قال : وقاك الله حرّ النار يا حسان ، فلما قال :

أتهجوه ولست له بكفء فشرّكما لخيركما الفداء

قال كل من سمعه : هذا أنصف بيت قالت [٥] العرب .

---

(١) انظر صحيح الترمذي الباب ٦٩ من الادب. (٢) لد : ليؤيده .

(٣) انظر ديوان حسان : ٨ (البرقوقي ، المطبعة الرحمانية ، مصر ١٤٢٧ هـ) .

(٤) الديوان : ووالده . (٥) ر : قالته .

---

(1) هو حسان بن ثابت بن المنذر الانصاري (٥٤ هـ/ ٦٧٤) صحابي ، شاعر النبي (ص) وأحد المخضرمين الذين ادركوا الجاهلية والاسلام . اشتهرت مدائحه في الغسانيين وملوك الحيرة قبل الاسلام . انظر الشعر والشعراء : ١٠٤ (تحقيق أحمد محمد شاكر ، القاهرة ١٣٦٤) والاغاني ٤ : ١٣٨ .

وقد مدح عليه السلام بالشعر وأثاب عليه ، كما روى ان كعب بن زهير [1] بلغه في جاهليته أن النبي ، صلى الله عليه وسلّم ، توعده لما كان يبلغه عنه ، فضاقت عليه الأرض ، ولم يجد بدا من الاسلام والاستسلام . فأتى المدينة مستخفيا ، ودخل المسجد صبحا ، فقال يا رسولَ الله ان كعب بنَ زهير قد أسلم وجاء تائبا انتقبله وتؤمنه يا رسولَ الله فآتيك به . قال نعم . قال فانني كعب ، ثم تشهّد وأسلم وأنشده قصيدته (١) التي أولها (٢) :

بانتْ سعادُ فقلبي اليومَ متبولُ ، يقول فيها (٣)

نبّئتُ (٤) أنّ رسولَ اللّه أوعدني والعفوُ عندَ رسولِ اللّه مأمولُ

فأعطاه عليه السلام برده فاشتراه منه معاوية بثلاثين ألفا ويقال انه البرد الذى كانت تتوارثه خلفاء بني العباس .

روى أن هشامَ بنَ عبد الملك حجّ صرة فرأى عليّ بن الحسين بن علي ،

---

(١) لـ : قصيدته اللامية .
(٢) انظر ديوان حسان : ٦ .
(٣) يقول فيها : سقطت من ك و ر .
(٤) ر والديوان : أنهئت .

---

(1) كعب بن زهير بن أبي سلمى المازني (٢٦ هـ / ٦٤٥ م) اشتهر في الجاهلية ولما ظهر الاسلام هجا الرسول فهدر دمه فجاءه كعب مستأمنا وقد اسلم وأنشده لاميته المشهورة التي مطلعها : بانت سعاد . انظر معجم الشعراء للمرزباني : ٢٣٠ (تحقيق عبد الستار احمد فراج ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ١٣٧٩ هـ / ١٩٦٠م) والشعر والشعراء : ٢٠ . وطبقات الشعر لابن سلام : ٣٧ (نشره حامد عجان الكتبي ، مطبعة السعادة) .

عليهم السلام ، يطوف بالبيت والناس يفرجون له اجلالا وتعظيما[1] ، فغاظه ذلك فقال : من هذا ، كأنه لا يعرفه ، فغضب لذلك همّام بن غالب[1] فقال[2] :

هذا الذي تعرفُ البطحاءُ وطأتَهُ ... والبيتُ يعرفُهُ والحِلُّ والحَرَمُ

هذا ابنُ خيرِ عبادِ اللهِ كُلِّهِمِ ... هذا التقيُّ النقيُّ الطاهرُ العلَمُ

اذا رأتْهُ قريشٌ قالَ قائلُها ... الى مكارمِ هذا ينتهي الكرمُ

مشتقةٌ من رسولِ اللهِ نبعتُهُ ... طابتْ مناصرُهُ والخيمُ والشيَمُ[2]

من معشرٍ حبُّهم دينٌ وبغضُهم ... كفرٌ وقربُهُمُ منجىً ومعتصَمُ

مقدَّمٌ بعدَ ذكرِ اللهِ ذكرُهُمُ ... في كلِّ أمرٍ[3] ، ومختومٌ به الكَلِمُ

ان عُدَّ أهلُ الهُدى[4] كانوا أئمتَهُم ... أو قيلَ : "من خيرُ أهلِ الارضِ ؟" قيلَ : هُمُ

يُغضي حياءً ويُغضَى من مهابتِهِ ... فما يُكلَّمُ الا حينَ يبتسِمُ

يكادُ يُمسِكُهُ عرفانَ راحتِهِ ... ركنُ الحطيمِ اذا ما جاءَ يستلمُ[4]

---

(١) لد : واعظاما . (٢) انظر ديوان الفرزدق ٢ : ١٧٨ (مطبعة صادر ، بيروت ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م)

(٣) الديوان : بدر . (٤) الديوان : التقى .

---

(1) همام بن غالب بن صعصعة (١١٠هـ/٧٢٨م) أحد اركان البلاط الاموي الشهير، من أهالي البصرة ، كني بالفرزدق لجهامة وجهه وغلظته وقصره وكني بأبي فراس : انظر معجم الشعراء ٤٦٦ ، والشعر والشعراء : ٤٤٢ وطبقات الشعراء ١١٤ .

(2) النبعة شجرة تتخذ منها القسي وهي تجود انواع الشجر، ويرمز بها هنا الى طيب المحتد ، الخيم : الطبيعة والسجية .

(3) العرنين : الانف . (4) الحطيم : حجر الكعبة او جداره ، يستلم الحجر : يلمسه اما بالتقبيل او باليد .

هذا ابنُ فاطمةٍ إنْ كنتَ جاهلَـهُ بجدّهِ أنبياءُ اللهِ قد خُتِمُـوا

فليسَ قولُـكَ مَنْ هذا بضائرهِ العربُ تعرفُ ما أنكرتَ والعجمُ

فبلغت أبياته هذه عـليّ بن الحسين ، عـليهم السلام ، فوصله باثني عشر الـف درهـم ومسك كثيرا وقال له : يا أبا فراس اعـذرنا فلو كان عنـدنا أكثر من هذا لوصلنـاك به . فقـال : والله يا بن رسول اللـه ما قلت ما قلت الا غضبـا للّه ورسـوله ، ومـا كنت (١) لآخـذ عـلى ذلك شيئا . فقال له اقبـل ، فانّـا أهل بيت لا نرجع فيما نهبه .

ورُوى أن عمـر بن عبد العزيز ، رضي الله عنـه ، لمـا ولي الخلافة وفدت عـليه الشعراء تهنئـه فأقاموا ببابـه أيامـا لا يؤذن لهم ، الى أن قدم عـديّ بن أرطأة (1) ، وكانت له عنده مكانـة ، فتحول اليه جريـر (2) فقـال : (٢)

يأيّها الرجلُ المُرخي عمامتَـه هذا زمانُك اني قد مضى زمـني

أبلغْ خليفتَنا انْ كنتَ لاقيَـهُ أني لدى الباب كالمصفودِ في قرنِ

---

(١) ر : ولم أكن . (٢) انظر ديوان جرير : ٤٨٦ (دار صادر ، بيروت ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م)

---

(1) عدي بن أرطأة الفزاري (١٠٢ هـ/٧٢٠ م) شاعر دمشقي ولاه عمر بن عبد العزيز البصـرة سنة ٩٩هـ . مات قتلا ، قتله معاوية ابن يزيد بن المهلب . انظر الكامل للمبرد (طبعة اوربا) ٢ : ٥٦٧ و ٣٥٧ .

(2) جرير بن عطية بن حذيفة الخطفي (١١٠هـ/٧٢٨ م) يكنى ابا حزرة . وقد كان من فحول شعراء الاسلام . كان من اشد الناس هجاء واحسنهم تشبيبا . جعله ابن سلام في الطبقة الاولى من الشعراء الاسلاميين . انظر الشعر والشعراء : ٤٢٥ وطبقات الشعراء : ١١٤

وحقِّ المكانةِ من تومي ومن بلدي نائي المحلةِ عن أهلي وعن وطني[1]

فقال عدي نعم. فلما دخل عليه قال له : يا أميرَ المؤمنين[2] ان الشعراء بهابك منذ أيام ، وأقوالهم باقية ، وسهامهم نافذة. فقال عمر ، ما لي وللشعراء ؟ قال يا أمير المؤمنين ان النبي صلى الله عليه وسلم قد مدح بالشعر ، وأثاب عليه ، وفيه أسوة لكل مسلم . قال : ومن مدحه ؟ قال : عباس بن مرداس[1]، فكساه حلّته . قال أفتروي قوله ؟ قال نعم ، وأنشده : [3]

رأيتُك يا خيرَ البريةِ كلِّها نشرت كتاباً جاءَ بالحقِ مُعلَما

سننت لنا فيه الهدى بعد حودنا عن الحقِّ لما أصبحَ الدينُ مُظلِما

قال صدقت فمن بالباب ؟ قال جميل بن معمر[2]. قال أليس هو القائل [4] :

ألا ليتنا[5] نحيا جميعاً وانْ نمتْ[6] يواتي لدى الموتى ضريحي ضريحُها

فما أنا في طولِ الحياةِ براغبٍ اذا قيلَ قد سوّى عليها صفيحُها

---

(١) الديوان : لا تنس حاجتنا ، لاقيت مغفرة قد طال منتي عن أهلي وعن وطني .

(٢) ر : على امير المؤمنين ، قال له .

(٣)

(٤) انظر ديوان جميل : ٥١ (تحقيق دكتور حسين نصار ، دار مصر للطباعة).

(٥) ك : ليتما . (٦) الديوان : فان .

---

(1) عباس بن مرداس بن أبي عامر السلمي (١٨هـ ؟/٦٣٩م ؟) من الشعراء الفرسان . أمه الخنساء الشاعرة . مخضرم ادرك الجاهلية والاسلام . كان من المؤلفة قلوبهم . انظر الشعر والشعراء ، ٢٥٦ ومعجم الشعراء : ١٠٢ وتهذيب التهذيب للعسقلاني : ٥ : ١٢٠ (مطبعة دائرة المعارف ، حيدر اباد ١٣٢٦ هـ) .

(2) جميل بن عبد الله بن معمر العذري (٨٢هـ/٧٠١م) افتتن بفتاة من عذرة اسمها بثينة ، فلقب بجميل بثينة . اكثر شعره يدور حول الغزل والنسيب . انظر الشعر والشعراء : ٤٠٠ والاغاني ٨ : ٩٠

أظلُّ نهاري لا أراها وبلتقي مع اللّيل روحي في المنام وروحُها

اعزب به . فمن بالباب غيره ؟ قال كثير[1]. قال : ألبس هو القائل [1] ،

رهبانُ مدين[2] والذين عهدتُهم يبكونَ من حذر العقاب[3] قعودا

لو يسمعونَ كما سمعتُ كلامَها[4] خروا لعزةَ ركعًا وسُجودا

اعزب به فمن بالباب غيره ؟ قال الاخطل[2]. قال : أبعده الله . ألبس القائل يصوح بالكفر[5] ،

ولست بصائم رمضانَ عمري ولست بآكلٍ لحمَ الأضاحي

ولست بزلجرٍ عنسًا بكورًا الى بطحاءِ مكةَ للنجاح

ولست مناديًا أبدًا بليلٍ كشلِّ الصَّيرِ حيَّ على الفلاح

ولكني سأشربها شمولاً وأسجدُ عند منبلج الصباح

اعزب به فمن بالباب غيره ؟ قال همّام بن غالب. قال ألبس القائل يفخر بالزنى[6] ،

---

(١) انظر ديوان كثيرا : ٦٥ (طبعة الجزائر) . (٢) ر : مكة .

(٣) الديوان ولد : العذاب . (٤) لد : حديثها .

(٥) انظر ديوان الاخطل : ١٥٤ (تحقيق الأب صالحاني، المطبعة الكاثوليكية ١٨٩١) .

(٦) انظر ديوان الفرزدق ١ : ٢١٢ .

---

(1) كثير بن عبد الرحمن بن الاسود بن عامر الخزاعي (١٠٥ هـ/٧٢٣ م) لقب بكثير عزة . وفد على عبد الملك بن مروان ومدحه . كان قصيرا دميما . انظر الشعر والشعراء : ٤٨٠ ومعجم الشعراء : ٢٤٢ وطبقات الشعراء : ١٧٦ .

(2) غياث بن غوث بن الصلت (١٩ هـ — ٦٤٠/٦٤٠ م — ٧٠٨) شاعر نصراني من بني تغلب . جعله ابن سلام في الطبقة الاولى من الشعراء الاسلاميين . وقد اشتهر في عهد بني امية في الشام . انظر : طبقات الشعراء : ١١٤ والشعر والشعراء ٤٥٥ والاغاني ٨ : ٢٧٩ .

هما دلتاني من ثمانين قامة كما انقض باز أقتم[1] الريش كاسره

فلما استوت رجلاي في الأرض قالتا[2] أسيد نرجى أم تقيل نعاذره؟

اعزب به فمن بالباب غيره ؟ قال جرير . قال هو القائل[3] :

لولا مراتبة العيون أريتها[4] قتل المها وسوالف الآرام

وأتتك[5] طائعة القلوب ولم تذا وقت الزيارة فارجعي[6] بسلام

ان كان فهذا ائذن له . فاذن له ، فلما دخل قال له عمر : "اتق الله يا جرير ، ولا تقل الا الحق ، فأنشأ يقول[7] :

كم بالبطاح[8] من شمطاء أرملة ومن يتيم ضعيف الصوت والنظر

معن يعدك تكفي نقد والده كالفرخ في العش لم يدرج ولم يطر

انا لنرجو اذا ما القطر أخلفنا من الخليفة ما نرجو من المطر

هذي الأرامل قد قضيت حاجتها فمن لحاجة هذا الارمل الذكر[9]

فقال يا جرير : لقد ولمت هذا الأمر وما أملك الا ثلاثمائة دينار ، فمائة أخذتها أم عبد الله ، ومائة أخذها عبد الله ، وبقيت مائة فهي لك .

---

(١) الديوان : أقتم . (٢) الديوان : نادتا .

(٣) انظر ديوان جرير : ٤٥٢ . (٤) لد والديوان : أيمننا .

(٥) الديوان : طرقتك . (٦) ر : فاذهبي .

(٧) انظر ديوان جرير : ٢١٠ . (٨) الديوان : بالمواسم .

(٩) سقط هذا البيت من الديوان .

وقد تثلم بالشعر الخلفاء والأمراء وهم القدوة ، وفيهم لمن بعدهم أسوة . فمن الخلفاء أبو بكر الصديق ، رضي الله عنه (١) :

أمن آل سلمى بالبطاح الدمائثِ ... أرقت وأمر في العشيرة(٢) حادثِ

ترى من لؤى فرقةً لا يصدُّها ... من الكفر تذكيرى(٣) ولا بعثُ باعثِ

رسولٌ أتاهم صادقٌ فتكذَّبوا ... عليه وقالوا : لستَ فينا بماكثِ

فان يرجعوا عن غيهم وضلالهم(٤) ... فما طيّبات الحل مثلَ الخبائثِ

وان يركبوا طغيانهم وكفرهم(٥) ... فليس عذابُ الله عنهم بعابثِ

ولعمر بن الخطاب رضي الله عنه (٦) :

سوِّن عليكَ فان الامورَ ... بكفِّ الاله مقاديرُها

فليس بآتيكَ منهيُّها ... ولا قاصرٌ عنكَ مأمورُها

ولعثمان بن عفان رضي الله عنه (٧) :

غنيُّ النفس يكفي(٨) النفسَ حتى يكفَّها ... وان مسَّها(٩) حتى يضرَّ بها الفقرُ

وما عُسرةٌ فاصبر لها ان لقيتَها ... بكائنةٍ الا سيعقبُها (١٠) يسرُ

---

(١) انظر العمدة لابن رشيق ١ : ٢٢ (تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٥ م) .

(٢) ك : العشائر . (٣) والعمدة : تذكير . (٤) العمدة : كفرهم وعقوقهم .

(٥) العمدة : وضلالهم . (٦) انظر العمدة ١ : ٢٣ . (٧) انظر العمدة ١ : ٢٤ .

(٨) العمدة : يغني . (٩) العمدة : عضها . (١٠) العمدة : سيتبعها .

ولعلي بن ابي طالب رضي الله عنه (١) :

أرى طلَلَ الدُّنيا عليَّ كثيرةً ... وصاحبُها حتى الممات عليلُ

لكل اجتماعٍ من خليلين فرقةٌ ... وكلُّ الذي دونَ الممات قليلُ

وانَّ افتقادَك واحدا بعد واحدٍ ... دليلٌ على أنْ لا يدومُ خليلُ

ومن العلماء الامام الشافعي (1) رضي الله عنه (٢) :

الجدُّ يدني كلَّ أمرٍ (٣) شاسعٍ ... والجدُّ يفتحُ كلَّ بابٍ مغلقِ

فاذا سمعتَ بان مجدودًا حوى ... مودًا فأورق في يديه فصدِّقِ (2)

واذا سمعتَ بان معوومًا أتى ... ماءً ليشربَه ففاضَ فحقِّقِ

وأحقُّ خلقِ اللهِ بالهمِ امرؤٌ ... ذو همةٍ يبلى بعوزٍ ضيِّقِ

ومن الدليلِ على القضاءِ وكونِه ... بؤسَ اللبيبِ وطيبَ عيشِ الأحمقِ

ولربما عرضتْ لنفسي فكرةٌ ... فأودُّ منها أنني لم أُخلقِ

ان الذي رزقَ اليسارَ ولم ... يُنلْ أجرًا ولا شكرًا لغيرِ موفَّقِ

---

(١) انظر ديوان علي بن أبي طالب: ١٠٧ (مطبعة الاتقان ، دمشق ١٣٦٦ هـ/١٩٤٧ م).

(٢) انظر العمدة ١ : ٤٠ . (٣) العمدة : شيء .

---

(1) محمد بن ادريس (٢٠٤ هـ/ ٨٢٠ م) أحد الائمة الاربعة عند اهل السنة . انظر : تهذيب التهذيب ٩ : ٢٥ .

(2) مجدود ، اسم مفعول من الجد اى الحظ ، ورجل مجدود او مجديد من كان ذا حظ من الرزق .

ولعبد الله بن المبارك [1] رضي الله عنه [1] :

اللهُ يدفعُ بالسلطانِ معضلةً ... عن ديننا رحمةً منه ودُنيانا [2]

لولا الخلائفُ [3] لم تأمنْ لنا سبلٌ ... وكان أضعفُنا نهباً لأقوانا

ومن الامراء الرشيد [2] رحمه الله [4] :

ملكُ الثلاثِ الآنساتُ عِنانِي ... وحَلَلْنَ من قلبي بكلِ مكانِ

ما لي تطاوعُني البريّةُ كلُّها ... وأُطيعُهُنّ وهنّ في عصيانِ

ما ذاكَ إلا أن سلطانَ الهوى ... وبه قهرْنَ أعزُّ من سُلطاني

---

(١) انظر مفتاح السعادة لطاش كبرى زاده ٢ : ١١٢ (مطبعة دائرة المعارف العثمانية، الهند ١٣٥٦ هـ) .

(٢) مفتاح السعادة : رضوانا . (٣) مفتاح السعادة : الائمة .

(٤) انظر الذخيرة ١/١ : ٣٣ (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٦١ هـ/١٩٤٢ م).

---

(1) عبد الله بن المبارك الحنظلي (١٨١ هـ/٧٩٨ م) فقيه ، حافظ ، زاهد ، محدث . حديثه نحو عشرين الف حديث . انظر شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ١ : ٢٩٥ (مكتبة القدسي، القاهرة ١٣٥٠ هـ) ومفتاح السعادة لطاش كبرى زاده ٢ : ١١٢ (مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، الهند ١٣٥٦ هـ) .

(2) هارون الرشيد بن محمد بن المنصور العباسي (١٤٩–١٩٣ هـ / ٧٦٦ – ٨٠٩ م) . خامس خلفاء بني العباس في العراق واوسعهم شهرة . بويع بالخلافة بعد وفاة اخيه الهادي سنة ١٧٠ هـ فازدهرت خلافته واقام علاقات صداقة مع شارلمان ملك فرنسا . كان أديبا عالما باخبار العرب والحديث والفقه . انظر : ابن الاثير ٥ : ١٢٩ – ١٣٤ ، والبرامكة لابن دحية : ٣٦ – ٤٢ (تحقيق المحامي عباس العزاوي ، مطبعة المعارف ، بغداد ١٣٦٧ هـ/ ١٩٤٥ م) .

ولابراهيم بن المهدي [1] رحمه الله [1] :

اذا كلمتني بالجفون[2] الفواتر ... رددت عليها بالدموع البوادر

فلم يعلم الواشون ما دار بيننا ... وقد قضيت حاجاتنا بالضمائر

ولمّا دخل[3] على المأمون وقد رضي عنه بعد خروجه عليه ، قال له يا امير المؤمنين ولي الثأر محكم في القصاص ، فان عاقبت فبحقك ، وان عفوت ففضلك ثم أنشد :

ذنبي اليك عظيم ... وأنت أعظم منه

فخذ بحقك أولا ... فاصفح بفضلك عنه

ان لم أكن في فعالي ... من الكرام فكنه

فقال له المأمون لا تثريب عليك يا ابرهيم ، يغفر الله لك ، أما لو علم الناس ما لنا من اللذة في العفو لتقربوا الينا بالجنايات . ثم أنشد :

---

(١) انظر الاغاني ١٠ : ٧٢ و ١٠ : ١٠١ (دار الثقافة ، بيروت) .

(٢) ر : بالعيون . (٣) وردت هذه الرواية في الاغاني ١٠ : ١٢٢ .

---

(1) ابرهيم بن المهدي العباسي (١٦٢ هـ ـ ٢٠٤ / ٧٧٩ م ـ ٨١٩) كان ابوه الخليفة محمد المهدي وامه زنجية . وهو عم المأمون . ثار على عمه ونادى به العباسيون خليفة عليهم الا ان فتنته سرعان ما أخمدت . انظر : دائرة المعارف الاسلامية ١ : ٤٠ وابن الاثير ٥ : ١٩٣ .

لما ولِيتُ[1] الذنوبَ جلتْ عن المجازات بالعقاب
جعلتُ فيها الجزاءَ عفواً أضى من الضرب للرقاب

ولعبد الله بن المعتز [1] رحمه الله [2] :

وجاءني في قميص[3] الليل معتجراً يستعجلُ الخطوَ من خوفٍ ومن حذرِ
ولاحَ ضوءُ صباحٍ[4] كاد يفضحُنا مثلِ القلامةِ قد قُدَّتْ من الظفرِ
فقمتُ أفرشُ خدي في التُّراب[5] له ذلاً وأسعدُ أردانيَ[6] على الاثرِ
وكان ما كان مما لستُ أذكرُهُ فظُنَّ خيراً ولا تسألْ عن الخبرِ

ووصفه صاحب الزهر في كتابه فقال[7]: كان ابنُ المعتز رقيقَ حاشية اللسان، أبينَ ديباجةِ البيان، وكان كما قال فيه ابن المرزبان، اذا انصرف من بديع الشعر الى رفيع النثر أتى بحلال السحر، وهو أبدعُ الناس استعارةً، وأحلاهم اشارةً وليس بعد ذي الرمة أقصد منه للتشبيهات، وهو القائل[8].

(١) و : رأيت .
(٢) انظر ديوان ابن المعتز ٢٤٦ (دار صادر، بيروت، ١٣٨١ هـ/١٩٦١م) .
(٣) لد : ظلام . (٤) الديوان : هائل . (٥) الديوان : الطريق .
(٦) الديوان : اذيالي .
(٧) انظر زهر الآداب للحصري ١ : ١٥٩ (تحقيق زكي مبارك، القاهرة، ١٩٢٥) .
(٨) انظر ديوان ابن المعتز : ٣٢٩ .

---

(1) عبد الله محمد المعتز بالله ابن المتوكل (٢٤٧ هـ — ٢٩٦/٨٦١ م — ٩٠٩) شاعر مبدع، ولي الخلافة يوما وليلة . صنف عددا من الكتب منها كتاب البديع و " الجوارح والصيد " . مات مخنوقا . انظر الاغاني ١٠ : ٢٨٦ .

وفتيـة كسيوف الهند قلت لهم ... سيروا (١) فما خالفوا (٢) تولي ولا خرقوا (٣)

ساروا وقد خضعت شمس الاصيل لهم ... حتى توقد في ذيل (٤) الدجى الشفق

ولسيف الدولة في قوس قزح (٥) :

وساق صبيح للصبوح دعوته ... فقام وفي أجفانه سنة الغمض

وقد نشرت أيدي الرياح مطارفاً ... على الجو دكناً وهي خضر على الارض

وطرزها قوس الغمام بأصفر ... على أحمر في أخضر اثر مبيض

كأذيال خود أقبلت في غلائل ... مصبغة والمصر أقصر من بعض

ووصفه صاحب اليتيمة في كتابه فقال (٦) :

كان بنو حمدان وجوههم للصباحة ، وألسنتهم للفصاحة ، وأيديهم للسماحة ، وعقولهم للرجاحة . وسيف الدولة مشهور بسيادتهم ، وواسطة قلادتهم ، وكان شاعرا مجيدا ، وفي عصره فريدا ، وهو القائل لاخيه ناصر الدولة :

---

(١) ك لد : يسروا . (٢) الديوان : أخطأوا . (٣) ر : وقفوا .

(٤) الديوان : ثوب . (٥) الابيات التالية تنسب احيانا لابن الرومي .

(٦) انظر يتيمة الدهر للثعالبي ١ : ٨ (دمشق ، المطبعة المنيرية ، ١٣٠٣ هـ) .

رضيتُ لكَ العليا وقد كنتَ أهلَها وقلتُ لهم بيني وبينَ أخي فسقُ
ولم يكُ بي عنها نكولٌ وانما تجافيتُ عن حقي فكان لك الحقُّ
ولا بدّ لي من أن أكونَ خليفةً اذا كنتُ أرضى أنْ يكونَ لكَ السمقُ

ولابن عمه أبي فراس[1] :

سكرتُ[1] من لحظهِ لا من مُدامتهِ وطالَ بالنّوم عن عيني تمايلُهُ
وما السلافُ دهَتْني بل سوالفُهُ ولا الشمولُ ازدهَتْني بل شمائلُهُ
ألوَى بصبري[2] أصداغٌ لُوينَ لهُ وغلّ صدري بما[3] تحوي غلائلُهُ

ووصفه صاحب اليتيمة فقال[4] :

كان أبو فراس فريدَ دهرهِ ، وقريعَ عصرهِ ، أدباً وفضلاً ، وكرماً ونبلا ، وبلاغةً وبراعة ، وفروسةً وشجاعة ، وشعره سائر بين الحذوبة والجزالة ، والفخامة والجلالة ، عليه رواء الصحة ، وسمة الظرف وغرة الملك . ولم تجتمع هذه الخلال الا في شعر عبد الله

---

(١) انظر ديوان أبي فراس ٢٢٥ (مطبعة صادر ، بيروت ١٣٧٩ هـ/ ١٩٥٩م) واليتيمة ١ ٣٦٠
(٢) الديوان واليتيمة : بحزمي . (٣) الديوان واليتيمة : وظل صبري بها .
(٤) انظر يتيمة الدهر ١ : ٢٢ .

---

(1) الحارث بن سعيد بن حمدان التغلبي (٣٢٠ هـ — ٣٥٧ / ٩٣٢ م — ٩٦٨) . شاعر فارس أمير . اشتهر بشعره في الاسر وقد سمي بالروميات . قال الصاحب : بدأ الشعر بملك (امرؤ القيس) وانتهى بملك (ابو فراس) وهو ابن عم سيف الدولة امير حلب . انظر : يتيمة الدهر ١ : ٢٢ ، وشذرات الذهب ٢ : ٢٤ .

ابن العتز . لكن أبا فراس أشعرُ منه عند أهل الصنعة ونقدة الكلام . وكان ابو الطيب المتنبي(1) يشهد له بالتقدم ، ويتحامى(1) جانبه ، فلا ينبرى لمباراته ، ولا يجترئ على مجاراته ، وهو القائل(2) :

ولما أن طفتْ سفهاءُ كعبٍ ... فتحْنَا بيننَا للحربِ بابا

ولما ثارَ سيفُ الدينِ ثُرنا ... كما هيّجتَ آساداً غضابا

أسنّتُه اذا لاقَى طعاناً ... صوارمُه اذا لاقَى ضرابَا

دعانا والأسنةُ مشرعاتٌ ... فكنّا عندَ دعوتِه الجوابَا

صنائعُ فاقَ صانعُهَا ففاتتْ ... وفرسٌ طالَ فارسُه فطابَا

وكنّا كالسّهامِ اذا أصابتْ ... مراميَهَا فراميهَا أصابَا

ولابن عمه أبي المطاوع بن ناصر الدولة (3):

أفدِي الذي زرتُه بالسّيفِ مشتملا ... ولحظُ عينيهِ أمضَى من مضاربِه

وما خلعتُ نجادِي في الصّباقِ له ... حتى لبستُ نجاداً من ذوائبِه

---

(1) لد : يتحاشى . (2) انظر ديوان أبي فراس : ١٤ ، واليتيمة ١ : ٢٦ .

(3) انظر : اليتيمة ١ : ٦٤ .

---

(1) أحمد بن الحسين بن الحسن الحفصي الكوفي (٣٠٣هـ — ٣٥٤/٩١٥م — ٩٦٥) ولد بالكوفة لأب سقاء ، ونشأ بالشام وطلب العلم والادب متنقلا في البادية . مدح سيف الدولة وكافورا الاخشيدي . مات مقتولا . انظر : يتيمة الدهر ١ : ٧٨ .

فكان أسعدُنا نهلاً بيغبتـــه[1] من كانَ في الحبِّ أشقانا بصاحبِه

وقال صاحب اليتيمة[2] : عوتب أبو الطيب في آخر عمره على ترجيع شعره فقال : تجوزت في قولي، وأسففتُ طبعي، واغتنمت الراحةَ منذ فارقتُ آلَ حمدان ، ومنهم من يقول ، يعني أبا زهير بن حمدان :

وقد علمتْ بما لاقتْه منّـــا قبائلُ يعربٍ وبنـــو نـــــزارِ

لقينـاهُم بأرمـاحٍ طـــوالٍ تهشّمُهُم بأعمـارٍ قصـــارِ

ومنهم أيضا من يقول ، يعني ابا العشائر بن حمدان :

ألَمّا الفوارسِ لـو رأيتَ مواقفي والخيلُ من تحتِ الفوارسِ تنحطُ

لقرأتَ منها ما تخطُّ يـدُ الوغى والبيضُ تشكلُ والاسـنةُ تُنقّـطُ

وللأمير[3] تميم بن المعز (1) :

سَـقّياني فلستُ أصغي لعـــذلٍ لمن الا تعلّلَ النفسِ شُغلي

أُطيعُ العذولَ في تركِ مـا أهو ى كأنّي اتّهمتُ رأيـي وعقلـي

---

(١) اليتيمة : فكان أنصفنا عيشا بصاحبه . (٢) أنظر : اليتيمة ١ : ٦٢ .

(٣) أنظر ديوان ابن المعز : ٢٣٧ .

---

(1) تميم ابن المعز لدين الله الفاطمي (٣٣٧ — ٣٧٥ هـ/ ٩٤٨ — ٩٨٥ م) عرف بالجود وحب الأدب ، اشتهر بالبراعة في الشعر . انظر دائرة المعارف الاسلامية ٥ : ٤٨٠

علّلاني بها وقد أقبلَ الليـــلُ كلون(١) الصدور(٢) من بعد وصلِ

وانجلى الغيمُ بعدما أضحكَ الزهـرَ بكاءُ السحاب فيه بسَيْـلِ

من هلالٍ كطيلسانِ نضـــارٍ في سماءٍ كأنها جامُ ذَبْلِ(1)

ومن ظرف الاندلس(٣) المستعين سليمان بن الحكم المرواني(2)، وله :

عجبًا يَهابُ اللّيثُ حدَّ سناني وأهابُ لحظَ نواعسِ الأجفـانِ

وأنازعُ الابطالَ(٤) لا متهيّبًـا شيئًا(٥) سوى الإمرانِ والهجرانِ

وتطلّعتْ نفسي ثلاثًا كالدُّمـى بيضٌ(٦) الوجوهِ نواعمُ الأبـدانِ

هذي الهلالُ، وتلك اختُ المشترى(٧) حسنًا، وهذي أختُ غصنِ البانِ

حاكمتُ فيهنّ السلوَّ الى الهوى(٨) فقضى بسلطانٍ على سلطاني

---

(١) ر : كليل . (٢) الديوان ولد و ر : الصدود .

(٣) أنظر الذخيرة ١/١ : ٢٣ ، ونفح الطيب ١ : ٢٠٢ .

(٤) الذخيرة : تنازع الاهوال . (٥) الذخيرة : منها .

(٦) الذخيرة : صفر . (٧) الذخيرة : بنت . (٨) الذخيرة : الصبا .

---

(1) الذبل : عظام طير دابة بحرية يتخذ منها الاسورة والامشاط والخواتم وغيرها .

(2) سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر الاموي (٣٥٤هـ — ٤٠٧/٩٦٥م — ١٠١٦) من ملوك الدولة الاموية بالاندلس وقد بويع بعد مقتل عمه هشام بن سليمان (٣٩٩هـ) لقب بالمستعين بالله . انظر الذخيرة ١/١ ، ٢٤ ؛ والمعجب للمراكشي : ٢٧ (مطبعة السعادة بمصر) ونفح الطيب ١ : ٢٠٢ (المطبعة الميمنية المصرية) .

وأبعنَ من قلبي الهوى وتركنني ... في عزّ ملكي كالذليل[1] العاني

لا تُنكروا[2] ملكاً تذلّل في الهوى[3] ... انّ[4] الهوى عزٌّ وملكٌ ثاني

ما ضرّ اني عبدُهنّ صبابةً ... وبنو الزمان وهنّ من عُبْداني

انْ لم أُطِعْ فيهنّ سلطانَ الهوى ... كلفاً بهنّ فلستُ من مَروان

وللمنصور محمد بن أبي عامر حاجب المؤيد بقرطبة ، وهو الذي قهر الروم وذلّل صعاب تلك التروم[1] ، ولم يزل يطأ بلادهم ، ويبتز طارنهم[5] وتلادهم ، حتى خافوا خوف المنية ، ورضوا في دينهم بالدنية ، وغزا نحو خمسين غزوة ، كلّها به منصورة ، وله مشهورة ، وتوفي رحمه الله بمدينة سالم[2] قافلا من غزاة . وقبره هنالك مشهور ، وعليه مكتوب[6] :

آثارُه تُنبيكَ عن أخبارِه ... حتى كأنكَ بالعيانِ تراهُ

تاللهِ لا يأتي الزمانُ بمثلِه ... أبدا ولا يحمي الثغورَ سواهُ

---

(١) الذخيرة : كالأسير .
(٢) الذخيرة : تعذلوا .
(٣) الذخيرة : للهوى .
(٤) الذخيرة : ذل .
(٥) ك : بطارنتهم .
(٦) انظر نفح الطيب ١ : ١٨٨ .

---

(1) الصعاب : جمع صعب وهو الجمل الأبيّ ، والتروم : الجمل الفحل أو السيد .

(2) مدينة سالم : وهي بالاندلس تتصل بأعمال باروشة ، يكثر فيها الشجر والماء ، وقد الفاها طارق بن زياد لما افتتح الاندلس خرابا فعمرت في الاسلام . انظر معجم البلدان مادة سالم ٤ : ١٧٢ (دار صادر ، بيروت ١٣٧٦ هـ / ١٩٥٧ م) .

من شعره الرائق ونطقه الفائق قوله [1] يفتخر :

رَمَيْتُ بنفسي هولَ كلِّ عظيمةٍ ... وخاطرتُ والعمرُ الكريمُ مخاطرُ

وما صاحبي الا جنانٌ مشيّعٌ ... وأسمرُ خطّيٌّ وأبيضُ باترُ

ومن شيمي أني على كل طالبٍ ... لجودٍ بمالٍ لا تقيه المصادرُ

واني لعتادُ الجيوشَ الى الوغى ... أسوداً تاتيها أسودٌ خوادرُ[1]

لسدتُ[2] بنفسي أهلَ كل سيادةٍ ... وأثرتُ ستّى لم أجدْ مَنْ أكاثرُ

وما شدتُ[3] بنياناً ولكن زيادةً ... على ما بنى عبدُ المليك وعامرُ

رفعنا العوالي بالعوالي سياسةً[4] ... وأورثناها بالقديم مفاخرُ[2]

وللمعتمد بن عباد [3] وقد تامت امامه جواريه تتعجب منه الشمس [5] :

تامت لتتعجبَ ضوءَ الشمسِ قامتُها ... من ناظرٍ ، عجبتْ عن ناظرِ الغيرِ

---

(١) المصدر السابق ١ : ١٨٨ .

(٢) النفح : فسدت ؛ ك : أسرت . (٣) ك : شيدت .

(٤) النفح ولد : بالعوالي مثلها .

(٥) انظر ديوان المعتمد : ١٥ (تحقيق الاستاذ احمد بدوي ، المطبعة الاميرية ، ١٩٥١ م)

---

(1) خوادر جمع خادر ، وأسد خادر أي مقيم في خدره .

(2) مخافر جمع مخفر ومخفرة : زرد تنسج منه الدرع .

(3) محمد بن عباد بن محمد بن اسماعيل اللخمي (٤٣١هـ - ٤٨٨ / ١٠٤٠م - ١٠٩٥) صاحب اشبيلية وقرطبة . ولد في باجه . كان شاعرا فصيحا وفارسا شجاعا . خلعه ابن تاشفين عن ملكه عام ٤٨٤ هـ ونفاه الى اغمات . أنظر قلائد العقيان : ٤ ، (القاهرة ١٢٨٤ هـ) .

سلماً لصونك عنها انها قصرٌ لا يحجب الشمس الا طلعة القمر

ووصفه الفتح في تأبده فقال[1] :

طلك تمح العدا وجمع بين البأس والندى ، وطلع على الدنيا بدر هدى ، لم تتعطل يوما كفّه ولا بنانه ، آونة يراعه وآونة سنانه ، وكان مع ذلك شاعرا مجيدا ، وبطلا نجيدا ، له عندما خلع عن ملكه ، ونثر نظم سلكه ، يذكر يوما خوضه فيه الى اللقاء حاسرا ، وعلى الاقدام في تلك المحال متجاسرا ، وذلك عند حصاره وتخاذل أنصاره[2] ،

انْ يسلُبَ القومُ العِدَا مُلكي وتُسْلِمُني الجموعُ
فالقلبُ بين ضلوعِه لم تُسلم القلبَ الضلوعُ
كم[3] وقت يوم تقالهم[4] ألاَّ تُحصِّنَني[5] الدروعُ
ورزتُ ليس سوى القميـ ـص عن الحشى شيءٌ دفوعُ
لَجلي تأخَّرَ لم يكُنْ بهواي ذُلِّي والخضوعُ
شيم الأُولى أنا منهمُ والأصلُ تنبُتُه الفروعُ
ما سرتُ قطّ الى القتا لِ وكانَ من أملي الرجوعُ

---

(١) انظر قلائد العقيان : ٤٥ . (٢) انظر ديوان المعتمد : ٨٨ والقلائد : ٢١
(٣) ر والديوان والقلائد : قد . (٤) ر والديوان والقلائد : نزالهم .
(٥) ك : تجنني .

ولما حبس بأغمات ، وأتى عيد الفطر ، دخل اليه بناته للسلام عليه واقتدامهن حافية ، وآثار نعمهن عافية ، وعليهن أطمار كأنها كسوف على أقمار ، يكي لتلك الحال وانشأ يقول (١) :

فيما مضى كنتَ بالاعياد مسرورا ... فساءَكَ العيدُ في أغمات مأسورا

ترى بناتكَ في الاطمار جائعةً ... يغزلنَ للناسِ ما يطكنَ قطميرا

برزنَ نحوَكَ للتسليم خاشعةً ... أبصارُهنَّ حسيراتٍ مكاسيرا

يطأنَ (٢) في الطينِ والاقدامُ حافيةٌ ... كأنها لم تطأ مسكاً وكافورا

لا غدَّ الا تشكَّى الجدبَ ظاهرُهُ ... وليسَ الا بدمعِ العينِ ممطورا

أفطرتَ في العيدِ لاعادتْ مسامُّه ... فكانَ فطرُكَ للآبادِ تفطيرا

وكانَ دهرُكَ إنْ تأمرْه ممتثلاً ... فردَّكَ الدهرُ منهيّاً ومأمورا

من باتَ بعدَكَ في ملكٍ يسرُّ به ... فانما باتَ بالاحلامِ مغرورا

وقال لما أطل على جبال درن (٣) :

هذي جبالُ درن ... تلبي بها ذو درن

يا ليتني لم أرها ... وليتها لم ترني

---

(١) انظر ديوان المعتمد : ١٠٠ .

(٢) الديوان : يطأن .

(٣) لم ترد في الديوان ؛ وفي ر : ولما اطل على جبال درن قال .

ولابن أبي زكرياء[1] صاحب افريقية يعاتب عنان بن جابر أحد امراء العرب فقال [1] :

سلوا دمنةً بينَ الغضا والسولجِ ... هل استنَّ فيها واكفاتُ المواطرِ

والافحندرِ ديمةٌ مستهلةٌ ... تطلعُ ما بينَ الحشا والحناجرِ

مساعيبُ أذيالٍ ومركزُ نابلٍ ... ومربُ آسادٍ ومغنى جآذرِ

عهدتُ بها طياءَ لا السرُ عندها ... مذاعٌ ولا جدُّ الوصالِ بعاثرِ

اذا طرقَ الشوقُ العجوجُ زرتُها ... طروقَ خيالٍ بين راعٍ وسامرِ

ولولا مخافاتي أن تُراعَ لزرتُها ... بأسمرَ عسّالٍ وأبيضَ باتـرِ

ومردٍ على جردٍ اذا اختلفَ القنا ... ترى الجنَّ تحروري متونَ الكواسرِ

فديتُكم لا الشوقُ آلَ ولا الهوى ... ببالٍ ، ولا تلبي الغداةَ بعابرِ

دعوها فان لم يسمح الدهرُ فاغتفرْ ... لها وله ذنبَ الليالي الغوادرِ

ودونكُم يا للرجالِ تعيسةً ... يغرُّ بها مني عنانُ بنُ جابرِ

فتىً ما دعته ذلةٌ نا جابَها ... نكيلَ ، طوى كشحاً على نفسٍ غادرِ

---

(١) لم اعثر على هذه الابيات في جميع المراجع التي ترجمت لأبي زكريا الحفصي .

---

(1) زكريا بن احمد بن يحيى بن أبي حفص اللحياني (٦٥٠ ـ ٧٢٧هـ/١٢٥٢ ـ ١٣٢٦م) من طوك الدولة الحفصية في افريقيا ولي الملك ٦٨٠ هـ ثم خلع . سجن سنة ٧٠٦هـ ثم عاد الى تونس فخلع ابنها خالد بن يحيى سنة ٧١١ وعلى مكانه . ترك تونس هاربا من ابن عمه ابي بكر بن يحيى ووصل الى الاسكندرية مصر فتونس . انظر الدرر الكامنة ٢ : ١١٣ (طبعة دار المعارف العثمانية، الهند ١٣٤٩هـ) والمخلصة النقيه : ٦٩ ، (المطبعة التونسية ، تونس ١٣٨٢هـ).

وفي كل عام كان للجهل وثبة ... تجرّ بها أذيالنا جرّ صادر

على كل خوار العنان كأنه ... الضمر اذ يلتاع في شكل طائر

وعشو التباب الخوّيات أوانس ... غرائف ما تحت اشتمال المآزر

يطالعن ما بين السجوف كأنما ... يطالعن خلساً من كمام الأزاهر

يذكّرنك العهد الذي كان بيننا ... وان كنت عنا سالياً غير ذاكر

وكنت كليث الغاب عزاً ومنعة ... فصرت كأمثال الرئال النوافر (1)

وكنت نزيل الطلح تجني ثماره ... أثانين من أفنان ريان ناضر

وكنت عزيز النفس في خير دولة ... فاصبحت جاراً في هاشل ابن عامر

كأن لم تجرّر في زرود وحمبرة ... ثياب التصابي في حسان الخوائر (2)

ولم تلق خطاراً بأكناف غمرة ... ولم ترق بالتصرين صهوة ظاهر

تبدّلت بالسهلين والمطن زافرا ... وبالعاقنات الجرد جرب الأباعر

نعم لك لا تشرى الضلالة بالهدى ... وما لك لا تشرى العمى بالبصائر

وفي يوسف الوافي عليكم زيادة ... أبا هجوس (1) الندب الكريم المآثر

وما الصوب السوداء الا بعهدها ... فمن كان أوفى كان أولى فاخر (2)

---

(١) ك و ر الى هجوس . (٢) لـد : باخر .

---

(1) الرئال جمع رئل وهو ولد النعامة .

(2) زرود جمع زرد وهو الدرع المزرودة ؛ حبرة : البردة الموشاة .

٢ · الباب الثاني في الشعراء وطبقاتهم

سئل بعض العلماء عن الشعراء فقال : هم أرباب النظام ، وامراء الكلام ، وما عسى ان يقال في قوم الاقتصاد محمود الا منهم ، والكذب غير جائز الا لهم ·

والشعراء ثلاثة اصناف : جاهلي ومخضرم واسلامي · فأما الجاهلي فهو الذي لم يدرك الاسلام · ورؤوس هؤلاء الطبقة الستة المشهورون ، ورأسهم امرؤ القيس[1].

واما المخضرم فهو الذي ادرك الاسلام والجاهلية · ومن هؤلاء الطبقة النابغة الجعدي[2] وكعب بن مالك[3] ورأسهم حسان بن ثابت ·

واما الاسلامي فهو الذي نشأ في الاسلام ، وهؤلاء الطبقة ثلاثة أصناف :

---

(1) امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي (٨٠ ق هـ / ٥٤٥ م) شاعر جاهلي من أشهر شعراء المعلقات جعله ابن سلام في الطبقة الاولى من الشعراء الجاهليين · اختلف في اسمه فقيل حندج وقيل مليكه وقيل عدي · انظر الشعر والشعراء : ٥٢ والاغاني ٩ : ٧٦ وطبقات الشعراء : ٢٥ — أما بقية الستة فهم : عمرو بن كلثوم وطرفه بن العبد علقمة الفحل وعنترة بن شداد وزهير بن أبي سلمى ·

(2) زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني الغطفاني المضري (نحو ١٨ ق هـ/ ٦٠٤ م) شاعر جاهلي جعله ابن سلام في الطبقة الاولى من الشعراء الجاهليين · كان يتصدر مجالس الشعر في عكاظ ويحكم فيها · انظر الأغاني ٥ : ٣ والشعر والشعراء ١ : ١٠٨ ·

(3) كعب بن مالك بن عمرو بن القين البدري الانصاري السلمي (٥٠ هـ/ ٦٧٠ م) من أكابر الشعراء ، من أهالي المدينة وكان من شعراء النبي (ص) انظر معجم الشعراء : ٢٢٩ ، وطبقات الشعراء : ٢٥ ·

محدث ومولّد ثم كل عصر بعد ذلك ينسب اليه أهله • والمحدثون جماعة منهم العتابي[1] والا شجع السلمي[2] والسيد الحميري[3] ومروان بن ابي حفصه[4] وأسهم بشار بن برد[5] العقيلي • والمولدون جماعة منهم مسلم بن الوليد[6] صريع

---

(1) تلثوم بن عمرو بن ايوب التغلبي (٢٠٢هـ/٨٣٥م) من اهل الشام سكن بغداد واتصل بهارون الرشيد ومدحه • رمي بالزندقة والرفض فطلبه الرشيد فهرب الى اليمن • انظر معجم الشعراء ٢٤٤ والشعر والشعراء ٨٣٩، والاغاني ١٣: ١٠٧ •

(2) اشجع بن عمرو السلمي (نحو ١٩٥ هـ/ ٨١١ م) من بني سليم من قيس عيلان • ولد باليمامة ونشأ بالبصرة، واستقر في بغداد حيث مدح البرامكة وانقطع الى جعفر بن يحيى • انظر الشعر والشعراء ٨٥٧، والاغاني ١٨ — ١٤٣ •

(3) اسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة الحميري (١٠٥ هـ — ١٧٣ / ٧٢٣م — ٧٨٩) شاعر اموي متقدم يشار اليه بالتصوف والورع • انظر الاغاني ٧: ٢٢٤ •

(4) مروان بن سليمان بن يحيى بن أبي حفصة (١٠٥ هـ — ١٨٢ / ٧٢٣م — ٧٩٨)، نشأ في العصر الاموي باليمامة وأدرك زمنا من العصر العباسي ومدح المهدي والرشيد• وكان يكنى أبا السمط • ويقال ان اصل عائلته يهود من موالي السموأل • انظر الشعر والشعراء: ٧٣٩، ومعجم الشعراء: ٢١٧ •

(5) بشار بن برد العقيلي (٩٥ هـ — ١٦٧ / ٧١٤م — ٧٨٤) شاعر مولد • فارسي الاصل • ادرك الدولتين الاموية والعباسية • كان مولى لبني عقيل وكان يكنى ابا معاذ ويلقب بالمرعث، اي الذي جعل في اذنيه الرعاث وهي القرطة • انظر الشعر والشعراء ٧٣٣، والاغاني ٣: ١٢٩ •

(6) مسلم بن الوليد الانصاري (٢٠٨ هـ/ ٨٢٣ م) المعروف بصريع الغواني • شاعر غزل كان أول من اكثر من استعمال البديع في شعره فتبعه الشعراء فيه • وهو من اهل الدوقة وقد مدح هارون الرشيد والبرامكة• انظر تاريخ بغداد، للبغدادي ١٣: ٩٦، (مطبعة السعادة ١٣٤٩ هـ/ ١٩٣١ م) والشعر والشعراء ٨٠٨ ومعجم الشعراء ٢٧٧ •

الخواني وأبو الشمقمق [1] والرقاشي [2] وأبان اللاحقي [3]، ورأسهم ابو نواس [4] الحسن بن هانىء .

قال صاحب العمدة [1] :

كان ابن المعتز وابن الرومي وأبو تمام والبحتري [5] طبقة متداركة ، غطوا على من سواهم . ثم جاء أبو الطيب المتنبي فشغل الناس بشعره ، ووصفه صاحب اليتيمة فقال [2] :

---

(١) انظر العمدة لابن رشيق ١ : ١٠١ .

(٢) انظر يتيمة الدهر ١ : ٧٨ .

---

(1) محمد بن علي بن عبد الله بن رزين بن تميم الخزاعي (١٩٦ هـ / ٨١١ م) شاعر مطبوع ، سريع الخاطر ، رقيق الالفاظ من اهل الكوفة وشبيه ابو جعفر . عمي في آخر أيامه ومات مقتولا . انظر الشعر والشعراء : ٨٢٠ ، والاغاني ١٦ : ٣١٩ .

(2) الفضل بن عبد الصمد بن الفضل الرقاشي، ابو العباس (٢٠٠ هـ/ ٨١٥ م) شاعر عباسي بصري فارسي الاصل . سكن بغداد ومدح الخلفاء واتصل بالبرامكة ونكاهم بعد النكبة التي حلت بهم . كان كأبي النواس والضحاك من الخلعاء والمتهتكين . انظر الوفيات ٢ : ٢٥١ ، والاغاني ١٦ : ١٨٠ .

(3) أبان بن عبد الحميد بن لاحق بن عفير الرقاشي (٢٠٠ هـ/ ٨١٥ م) شاعر مكثر من اهالي البصرة . انتقل الى بغداد واتصل بالبرامكة ومدحهم . نظم قليلة ومدحة شعرا واتصل بالرشيد فكان من شعرائه . انظر الاغاني ٣ : ٢٤٠ .

(4) الحسن بن هانىء (١٤٦ هـ - ١٩٨ / ٧٦٣ م / ٨١٤) شاعر العراق في عصره . ولد في الاهواز ونشأ بالبصرة ورحل الى بغداد حيث اتصل بالخلفاء العباسيين ومدحهم . انظر الشعر والشعراء : ٧٧٠ ، والاغاني ٢٠ : ٣ .

(5) الوليد بن عبيد بن يحيى الطائي (٢٠٦ هـ - ٢٨٤ / ٨٢١ م - ٨٩٨) ابو عبادة ، شاعر كبير يقال لشعره ساحل الذهب ولد بمنبج ورحل الى العراق، ثم عاد ومات بمنبج . له ديوان شعر وكتاب الحماسة على مثال حماسة أبي تمام . انظر الاغاني ٢١ : ٣٩ ، وتاريخ بغداد ١٢ : ٤٤٦ .

هو نادرة الفلك ، وواسطة عقد الدهر في صناعة الشعر ، وهو شاعر سيف الدولة المنسوب اليه ، والمشهور به ، لأنه الذي جذب بضبعه (١) (1) ورفع من قدره ، والقى عليه شعاع سعادته ، حتى سار شعره مسير الشمس والقمر ، وطار كلامه في البدو (٢) والحضر ، وغادت الليالي تنشده ، والأيام تحفظه ، كما قال في نفسه (٣) :

وما الدَّهرُ الا مِنْ رواةِ قصائدي اذا قُلتُ شعراً أصبحَ الدهرُ منشِدَا

ولقب بالمتنبي لقوله (٤) :

أنا في أمةٍ تداركَهَا اللَّـ ـهُ غريبٌ كصالحٍ في ثَمُودِ

وقيل انه تنبأ في بني القصيص بشعره ، وفي ذلك يقول بعض الشعراء لأحد الامراء وقد رآه ينظر في شعره فقال :

وقالوا أجادَ ابنُ الحُسَينِ وانَّمَا تُجيدُ الصَّفَايا واللهى تنتقي (٥) اللها

تنبأَ عجباً بالقريضِ ولو درَى بأنكَ تروي شعرَهُ لتَألَّهَا

وقال الصاحب وجماعة : بدئ الشعر بكندة وختم بكندة يعنون امرأ القيس وأبا الطيب . وقال قوم : بدئ الشعر بطك وختم بطك ، يعنون امرأ القيس وأبا

---

(١) ك بطبعه . (٢) ر : البوادي ، ك : البداوة .
(٣) انظر ديوان المتنبي : ٣٧٣ . (٤) انظر ديوان المتنبي : ٢٢ .
(٥) ر : تفتح .

---

(1) الضبع : بسكون الباء ، وسط العضد وقيل العضد كلها ، وجذبه بضبعه أي رفعه . انظر لسان العرب مادة ضبع ٨ : ٢١٦ .

فـراس الحمداني • وقال بعضهم أشعر الناس من أنت في شعره [١] • وقيل [٢] أشعر الناس من يجيد في كل ما يريد • وحدّث المعافى قال [٣] :

حضرت مجلس عبد الله بن طاهر وفيه البحتري • فقال له : يا أبا عبادة ، من أشعر مسلم أم أبو نواس [٤] ؟ فقال : أيها الامير ان أبا نواس [٥] يتصرف في كل طريق ، وينزع في كل مذهب ، ومسلم يسلك طريقا لا يتعداه ، ويلزم مذهبا لا يتخطاه • فقال له : ان ثعلبا لا يوافقك على هذا • قال ليس هذا من علم ثعلب وأضرابه ممن يحفظ الشعر ولا يقوله ، وانما يعرف الشعر من دفع الى صناعته • فقال : ويحك [٦] بك زنادق [٧] يا أبا عبادة ، هكذا حكم أبو نواس، وقد سئل عن جرير والفرزدق نفضّل جريرا • فقيل له : ان أبا عبيدة لا يوافقك على هذا ، فقال ليس هذا من علم أبي عبيدة ، انما يعرف الشعر من دفع الى صناعته •

---

(١) وقال بعضهم ... شعره : سقطت من ر • (٢) ر : قال بعضهم •
(٣) انظر العمدة ٢ : ١٠٤ • (٤) لد : أبو فراس •
(٥) لد : ابا فراس • (٦) لد : ويحك •
(٧) ك و ر : زنديك •

---

(1) روى بمعنى انتقد ؛ والزند والزندة خشبتان يستقدح بهما ، وروى الزند : انتقد • يضرب مثلا في النجاح والكرم وغيره من الخصال •

وقيل الشعراء أربعة : شاعر مفلق أي مجيد . وشاعر مجيد وهو الذي يستجاد شعره . وشاعر يطلق عليه الاسم فقط ، وهو الذي لا يؤبه به (١) . وشعرور وهو الساقط (٢) الردي ، وإياه أراد الشاعر بقوله :

يموتُ رديءُ الشعرِ من قبلِ أهلِهِ وجيدُهُ يبقى وإن مسَّهُ تالفُ

---

(١) ر : يشعره .

(٢) لد : السانه ، ك : الساقة .

الشعر ينقسم الى طرفين ووسط ، ويتوم بعد القصد من أربعة[1] : لفظ ومعنى ووزن وقافية . وربما عرض لبعض هذه المواد ما يخل به . وقد توقف ناس من الجلة عن عمل الشعر هيبة له لا جهالة[2] به . قيل للمفضل الضبّي : لم لا تقول الشعر وانت اعلم الناس به ؟ فقال : علمي به يمنعني من قوله . وقيل ذلك لآخر فقال : الذى أرضاه لا يجيئني[3] والذى يجيئني[4] لا أرضاه وفي معناه يقول[5] الاصمعي[1] :

أبَى الشعرُ الاّ أن يجيءَ[6] رديئه ... اليّ[7] ويأبى منه ما كانَ مُحكَما

فيا ليتني اذ لم أُجِدْ حسنَ شعرِه ... ولم أكُ من فرسانه كنتُ مفحما[8]

وينبغي لمن يروم عمل الشعر ان يتحرى أوقات الفراغ ، وأمكنة الخلوة ، ولا يحمل شيئا من الشعر حتى يشتهيه ، فان الشهوة نعم المعين . واذا سئم فليرح نفسه ،

---

(١) لد : أربعة أشياء .
(٢) لد : جهلا .
(٣) لد : يجيبني .
(٤) لد : يجيبني .
(٥) انظر العمدة ١ : ١١٧ . وقد نسب هذان البيتان في الموشى : ٢٧٢ الفضل الضبي .
(٦) العمدة : يفيء .
(٧) العمدة : علي .
(٨) ر : مفحما .

---

(1) عبد الملك بن قريب بن علي بن اصمع الباهلي (١٢٢ هـ - ٧٤٠/٢١٦ م - ٨٣١) ، راوية العرب وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان . ولد وتوفي بالبصرة . انظر تاريخ بغداد ١٠ : ٤١٠ .

ولا يكره طبعه ، ويطالع من أشعار الناس ما يستجيده ، في المعنى الذي يريده • ومن أشبا لهم الكلام من الكلام • وينبغي ألا يقبل كل ما يبعثه هاجسه ، وتنبعث به وساوسه ، بل ينقح ويختار ، ولا يذهب الى الاستكثار • واذا فرغ من شعره ، نقبت من أمسره ، تتأمله مرتين ، ويرجع البصر فيه كرتين • فكثيرا ما سوّدت به وجوه المبيضات بالتغيير ، وأدّى العجل الى الندم والتحبير • وينبغي أن يعرض كلامه على من يثق بمعرفتـــه ونصيحتـه ، فان الانسان لا يرى عيب نفسه • والمرء كما قيل يفتن بابنه وبشعره • وقد يعرض للشاعر أن يرتجل عليه فيكهم عنده ، ويصلد [1] زنده ، ولا يستطيع أن ينظم شيئا • وقد يتاتى له من حسن البديهة ، وجودة القريحة ما يعجب منه ، كما حكي أن أبا تمـام لما أنشد المعتصم قولـه [1] :

اقدامُ عمرو في سماحةِ حاتمٍ في حلمِ أحنفَ في ذكاءِ إيـاسِ

قال له الكندي الفيلسوف : ما صنعت شيئا يا أبا تمام • شبهت أمير المؤمنين بصعاليك العرب • ففكر قليلا ثم قال :

لا تُنكروا ضربي لهُ من دونـهُ مثلاً شروداً في النّدى والبـاسِ [2]

---

(١) انظر ديوان أبي تمام : ١٧٤ والعمدة ١ : ١٩٢ والموشح للمرزباني : ٢٢٦ •

---

(1) يكهم : يبكل ولا يؤثر ؛ أصلد الزند يصلد : صوّت ولم يور •

(2) الشرود : النفور •

فاللّه قد ضرب الاقلّ لنـــوره مثلاً من المشكاة والنّـــبراس(1)

فعجب الندى من تنطقه ، وحسن بديهته وقال ان هذا الفتى ينبعث من قلبه ، وسيموت عن قريب ، فكان كما قال .

وحكي أنه خرج على المعتصم تميم بن جميل السدوسي بشاطئ الفرات ، فغلظ أمره ، واشتدّت شوكته (١) ، فجهز اليه المعتصم جيشا قلّ (٢) فريسه ، وأخذه (٣) أسيرا . فلما أتي بـه ، نظر اليه فرآه وسيما جميلا ، فاحب ان يعلم لين مخبره من منظره فقال له (٤) : تكلّم يا تميم . فقال يا أمير المؤمنين ان الذنوب لتخرس الألسنة ، وتعمي الأفئدة . وقد عظمت الجريمة ، وانقطعت الحجة ، ولم يبق الا عفوك أو عقابك . وأرجو أن يكون أقربهما الي أشبههما بك واولاهما بكرمك (٥) . ثم التفت الى السيف والنطع وقد أحضرا لضرب عنقه فقال (٦) :

أرى الموتَ بينَ السّيفِ والنطعِ كامنًا يلاحظني من حيثُ ما أتلفّتُ (٧)

---

(١) ر و ك : شكوته . (٢) لد : يلّ . (٣) ر : اخذوه .
(٤) له : سقطت من ك و ر . (٥) أولاهما بكرمك : سقطت من ر .
(٦) انظر النجدة ١ : ١٩٤ . (٧) لد : النطع والسيف .

---

(1) المشكاة : الكوة ، النبراس : المصباح . وفي البيت اشارة الى الآية الكريمة : اللّـه نور السموات والأر . مثل نوره كمشكوة فيها مصباح ، (سـورة النور ، الآية ٣٤) .

وان[1] امرئ يدلي بعذر وحجة ... وسيف المنايا بين عينيه مصلت

وأغلب[2] ظني انك اليوم قاتلي ... وان امرئ مما قضى الله يفلت ؟

وما جزعي من أن[3] اموت وانني ... لاعلم ان الموت شيء مؤقت

ولكن خلفي صبية قد تركتهم ... وانباذهم من حسرة تتفتت

فان عشت عاشوا حافظين[4] بطبلة ... اذود الردى عنهم وان مت موتوا

وكم قائل لا يبعد الله داره ... وآخر جذلان يسر ويشمت

فعجب المعتصم من حسن بيانه ، وقوة جنانه ، وقال : يا تميم قد[5] وهبتك للصبية ، وعفوت لك عن الصبوة . وامر بفك قيوده وخلع عليه ، وولاه الفرات .

وحدث بعض شيوخنا قال : كان الشريف الطليق[6] حسن البديهة جيد القريحة ، فلقيه فتى يدل عليه ، وكان يميل اليه ، فناوله حجرا ، وقال : ان كنت شاعرا فقل فيه هذا . فقال[6] :

---

(١) لد : فاى . (٢) العمدة : واكبر . (٣) العمدة : أني .

(٤) ر : غابطين . (٥) قد : سقطت من ر .

(٦) لم اعثر على هذه الابيات في أي من المصادر التي ترجمت للشريف الطليق .

---

(1) مروان بن عبد الرحمن الناصر (٣٠٠هـ/١٠١٠م) من امراء بني امية في الاندلس . كان اديبا شاعرا منشئا . سجنه المنصور محمد بن ابي عامر مدة ١٦ عاما . ثم عرف بالطليق بعد خروجه من السجن . انظر جذوة المقتبس للحميدي : ٣٢١ (تحقيق محمد بن تاويت الطنجي ، مطبعة السعادة ، مصر ١٣٧٢هـ/١٩٥٢م) والمطرب لابن بسام : ٧٢ والمغرب ١ : ١٨٦ وهو ينقل عن الجذوة والبلغة والسيراء ١ : ٢٢٠ — ٢٢٥ (تحقيق الدكتور مؤنس .)

وملءُ ملءِ الكفِّ من يابسِ الصَّفا لها قلبُ محبوبٍ وكفُّ بخيلِ

رميتُ بها قرنسي نخرَّ مجندلاً كفعلي بماضي الشفرتينِ صقيلِ

اذا عدمَ النّاسُ السلاحَ فانّني سلاحي موجودٌ بكلِّ سبيلِ

وكان في عصرنا الهيثم الاشبيلي[1] أحد الاعاجب في هذا الشأن . كان يمتحن[1] فيقترح عليه رسالة وشعر وموشحة ، في أي نوع قصد ، فكان يملي الثلاثة على ثلاثة لا يتوقف ولا يجف لأحد منهم[2] قلم . وحدثني الشيخ أبو علي القصري بسبتة ، رحمه الله ، قال : اجتاز علينا بقصر كتامة[2] وهو يريد المغرة ، فأتينا اليه وقلنا له : يا استاذ ، بلغنا عنك كيت وكيت . فقال ان شئتم . فاقترحنا عليه رسالة وموشحة وشعرا[3] فوجدناه كما قيل . وأنشدني الشعر الذي أملاه علينا وكان أوله :

من أنبتَ الوردَ خلالَ البهارْ وعمَّمَ الليلَ ضياءَ النهارْ

وخطَّ سينَ الدُّرِّ من فوقِهِ مادَ عقيقٍ تحتَ لامِ العذارْ

---

(١) لد : يمتبر . (٢) منهم : سقطت من ك . (٣) لد : وشعرا وموشحة .

---

(1) الهيثم بن أحمد بن أبي غالب بن الهيثم (٦٣٠ هـ/ ١٢٣٢ م) كان عالما بالادب والاخبار حاضر البديهة قال عنه صاحب المغرب حافظ اشبيلية ، لم ألق بها أحفظ منه . كان يحفظ ديوان ذي الرمة . انظر المغرب لابن سعيد ١ : ٢٥٨ وواسات المبرزين : ١٨ (تحقيق جوميز ، مدريد ١٩٤٢) .

(2) قصر كتامة مدينة قرب سبتة مقابل الجزيرة الخضراء من أرض الاندلس . انظر معجم البلدان ٤ : ٢٦٢ .

ومن هذا الباب الاجازة والمصالطة[1]. فاما الاجازة فهي ان يذيل الشاعر على كلام غيره على البديهة ما يلائم معناه [٢]، ويتصل بمعناه . كما حكي ان الباجي [1] وابن حسداى[2] وابن عمار[3] كانوا ذات يوم على راحة. فبينما هم يحثون كؤوسها ، ويستحثون تانيسها ، اذ دخل عليهم بعض خدامهم فأخبرهم بموت فتى من فتيان السلطان ، كان اسمه خليفة . ووافق ذلك كسر ابريق مما كان بين أيديهم فقال الباجي :

أتلهو والحتوف بنا محيطة ونامن والمنون لنا مخيفه

فقال ابن حسداى :

وفي يوم وما أدراك يوما تقض ابريقنا وقضى خليفه

فقال ابن عمار :

كما تجارتا[٣] راح وروح تكسرتا فاشتاق وجيفه

---

(١) ك و ر : المطالعة . (٢) لد : معناه . (٣) لد : نجارتا .

---

(1) ابو عمرو الباجي : وصفه صاحب القلائد بانه كان لا يجارى في بارقة براعة ولسان . جمعه المقتدر بعد وزرائه . له شعر ونثر كثير . انظر قلائد العقيان ١٠٢ .

(2) ابو الفضل ابن حسداى : من سرقسطة ومن بيت شرف اليهود بالاندلس، كان بارعا في الشعر وعلوم الهندسة والنجوم والموسيقى . أنظر طبقات الامم لابن صاعد : ٩٠ (تحقيق لويس شيخو ، المطبعة الكاثوليكية ١٩١٢) والمعرب : ١٦٦ والقلائد : ١٨٣ .

(3) محمد بن عمار ، ابو بكر (٤٢٢ — ٤٧٧ هـ/١٠٣١ — ١٠٨٤ م) وزير وشاعر . كان يلقب بذي الوزارتين . كان وزيرا للمعتمد بن عباد ثم اختلفا . انظر المطرب لابن دحية : ١٦٦ وقلائد العقيان : ٨٣ والمغرب ١ : ٣٨١ فما بعد .

وذكر صاحب العمدة في كتابه قال[1] :

اجتمع عباس بن الاحنف[1] ، وابو نواس وصريع الغواني[2] والحسين الضّحاك[2] ويحي بن المعلى[3] في نزهة ، وكانت الصلاة لهلا . فقام[3] يحي يصلي بهم ونسي الحمد وقرأ : قل هو الله أحد . فارتج عليه فيهما . فقال أبو نواس[4] :

أشعر يحيى غلطا في قل هو الله أحد

وقال عباس :

قام طويلاً ساهيا حتى اذا اعيا سجد

وقال صريع الغواني :

يزخر[5] في محرابه زخير[6] المعلى بولد

وقال الحسين :

كأنما لسانه شدّ بحبل من مسد

---

(١) انظر العمدة ٢ : ٩١ وديوان أبي نواس ١ : ٦٧ تحقيق فلجنر .
(٢) الغواني : سقطت من ر . (٣) لد : فقدم .
(٤) لد : ابو فراس . (٥) ك و ر : يزخر . (٦) ك و ر : زخير .

---

(1) العباس بن الاحنف بن الاسود الحنفي اليمامي (١٩٢ هـ/٨٠٨ م) شاعر غزل رقيق ، نشأ وتوفي في بغداد وكان يكنى ابا الفضل . انظر الشعر والشعراء ٨٠٤ والاغاني ٨ : ٣٥٤ .

(2) الحسين بن الضحاك بن ياسر الباهلي (١٦٢هـ - ٢٥٠/٧٧٩م - ٨٦٤) شاعر ممن ندماء الخليفة . قيل اصله من خراسان وقد نشأ في البصرة وتوفي ببغداد . انظر الاغاني ٧ : ١٤٢ .

(3) لم اعثر على ترجمة له في المراجع وفي ديوان ابي نواس ، ومعهم فتى يقال له يحي بن المعلى .

قال صاحب العمدة [1] ذاكرت هذه الكناية بعضهم ، فقال هذا مما يعجز اليوم عنه . نقلت ما بال أحدهم لم يقل بعد البيت الثاني :

ونسيَ الحمدَ لمسةٌ مسّتْ له على خَلَدْ

وقال بعض [2] أصحابنا لأبي جعفر بن حسين من اهل بلدنا ، أجز :

أهدى إليّ الغزالَ ليمه [1]

فقال مسرعا : فقلتُ خذها ، قالَ لي مَهْ ؟

وقال المعتمد بن عباد [3] لبعضهم أجز :

صَنَعَ الريحُ من الماءِ زرد

فقال : أيّ درعٍ لقتالٍ لو جَمَدْ .

واجتمع الشعراء يوما بباب الرشيد فقال [4] : من يجز هذا وله حكمه :

الطعامُ للمِ وعندَهْ

فقال الجماز : وللخليفة بعضُهْ

وللمحبِّ اذا ما حبيبُه باتَ عندَهْ

---

(١) لد : قال ابن رشيق .

(٢) وقال بعض .... قال لي مه : سقطت من لد .

(٣) بن عباد : سقطت من ك و ر ؛ ولم يرد هذا البيت في ديوان المعتمد . وانظر ديوان ابن عباد ص ١٦٨ — ١٦٩ تنبيه الكناية الخ عن نسبة هذين الشطرين .

(٤) انظر العمدة ١ : ٩٠ .

---

(1) ليمه : ليمونة صغيرة في لغة أهل الاندلس (انظر قاموس دوزي) .

فاستحسن ذلك وحكّمه .

ودخل أبو تمام البصرة فرأى صبيانا مجتمعين ، وفيهم صبي يدعونه الشاعر . فدنا منه وقال له : أشاعر انت ؟ قال : نعم . قال فانشدني من شعرك . قال : مما قلت ام مما اقول ؟ قال : مما تقول . قال : افتح (١) بديهتي بدرهمك أنشدك . فأعطاه درهما وقال له : عجّز ما أصدّر . فقال : قل . فقال ابو تمام :

ليتَ بينَ الذينَ بانُوا وبيني

فقال : يا عم في القرب تعني ام في البعد ؟ فقال في القرب . فقال :

ليتَ (٢) بينَ الذينَ بانُوا وبيني مثل ما بينَ حاجبيّ وعيني

فعجب ابو تمام من حسن بديهته على صغر سنه . وقال : والله لا اتممت في بلد فهمه صبي مثل هذا ، وانصرف لوقته . ثم انه عاد الى البصرة بعد مدة فبينما هو بها مع قوم من أهل الأدب يذاكرهم ، اذ وقف عليه رجل فأنشده (٣) :

أنت بينَ اثنتينِ تبزُّ للنفـ ـس وللتاهما بوجهٍ مُذالِ

لستَ تنفكُّ طالبًا لوصالٍ من حبيبٍ او طالبًا لنَوالِ

أيّ شيءٍ من ماءِ وجهكَ يبقى بينَ ذلّ الهوى وذلّ السؤالِ

---

(١) لد : انتج . (٢) ما بين معقفين زيادة من لد .

(٣) الابيات لعبد الصمد بن المعذل في أخبار أبي تمام للصولي ٢٤١ — ٢٤٢ .

قال ابو تمام فتصورته فاذا هو صاحبي .

وحدّث جعفر بن محمد شاعر الرشيد قال[1] :

استدعاني الرشيد ذات ليلة فدخلت عليه وهو يشرب ، وأمر المغني فغنّى .

ثم قال : يا جعفر عرّض على بيت لصريع الغواني وهو[2] :

وما زال يغني الحبّ حتى حسبته تنفّس في احشائه وتكلّما

وأحب ان تصنع له رنيتا . فقمت فاصلحت . فاعتذرت له وسألته ان يرجئني الى الغد ففعل . فخرجت من عنده فلقيت الناطفي فسألني الجهبذ عنده . فسرت معه . فلما دخلت منزله سار الى عنان جاريته وقال لها وانا اسمع : فلان عندنا الليلة فقومي اليه . فقالت والله لا اجالس مثله وانا سكرى على هذه الحال . فضربها بالسوط فأوجعها فاقبلت معه تبكي ودموعها كأنها در على خدّ . فجاء وهو يقول :

هذي عنانُ[3] ارسلَتْ دمعَها كالدُّرِّ اذ يُنثَرُ من خَيطِ[4]

فقالت مسرعة :

قلتَ من يضربُها المسـ تَبسّمُ فاهُ على السَّوطِ[5]

---

(١) وردت هذه الرواية في المحاسن والاضداد : ١٥٢، بصورة مخالفة (دار مكتبة الهلال) .

(٢) لم يرد هذا البيت في ديوان صريع الغواني .

(٣) المحاسن والاضداد : ان عنانا . (٤) المحاسن والاضداد : اذ ينسل من سمطه .

(٥) المحاسن والاضداد : تبسّم فاه يعناه على السوط .

ثم قالت أهلا بك يا سيدي وما هذا الطروق ؟ فأطعتها بقصتي مع الرشيد . فقالت لما سمعت البيت ، أفلا قلت له :

فَبكِي فابكِي رِعسةً لبُكَائِهِ اذا ما بكَى رعسًا بكيتُ له دمَا

فقمت لما سمعت البيت فقالت لي : الى أين يا سيدي ؟ فقلت : الى أمير المؤمنين والله. فقالت : بحياتك ألا ما أخبرته أن طعجا مثل هذا يضربني ظلما . فسرت الى الرشيد وأطعته بالقصة ، فوجه عن عنان واشتراها منه بمائة ألف .

وأما المعالطة فهي أن يتساجل الشاعران فيصدر أحدهما ويعجز الآخر ، كما ذكرنا عن أبي تمام وفضل امرئ القيس اذ قال للتوأم[1] : ان كنت شاعرا فأجز انصافا ما أقول . قال نعم . فقال امرئ القيس[1] :

أَغَارِ تَرَى بُرَيْقًا هَبَّ وَهْنَا[2]

فقال التوأم :

كَنَارِ مَجُوسَ تَسْتَعِرُ اسْتِعَارَا[3]

---

(١) أنظر ديوان امرؤ القيس : ١٤٧ والعمدة ١ : ٢٠٢ .

---

(1) الحارث بن قتادة بن التوأم وكان يناقض امرؤ القيس ويتعصب له ، انظر الاشتقاق لابن دريد : ٢٠٦ (جوتنجن ١٨٥٤ م) .

(2) هب وهنا اى لمع وبدا بعد هدء الليل .

(3) المجوس : عبدة النار .

فقـال امـرؤ القيـس :

أرتـه له وقـام أبو شُـرَيْحٍ

فقـال التـوأم :

اذا ما قلتُ قد هَـدَأَ اسْتَطَارَا

فقـال امـرؤ القيس :

كأنّ هزيزَهُ لوَ رَاءِ(1) غَيْبٍ (1)

فقـال التـوأم

عِشَـارٌ وُلِّـهَتْ لاقَتْ عِشَـارَا (2)

فقـال امـرؤ القيس :

فلمّا ان دنَا لتقَـا أُضَـاحٍ (3)

فقـال التـوأم :

---

(١) لـه : جوزاء ، ك و ر : بوراء .

---

(1) اى كأن صوت رعده وراء الغيب ، اى مما لا أراه . وقد أضمر الرعد في قوله هزيـزه لان البرق قد دل عليـه .

(2) عشار ولّـه اى فاقدة أولادها فهي تحن اليها وتضج ، والعشار النوق التي اتـى عليها عشرة اشهر مذ حملت .

(3) أضاخ اسم موضع . يقول لما دنا هذا العلو من وراء هذا الموضع ثبت فيه واستدار بـه كالعصير .

وعت أعجاز ريته فصارا (1)

فقال امرؤ القيس :

فلم يترك بذات السرّ ظبياً (2)

فقال التوأم :

ولم يترك بجلهتها (1) حمارا (3)

---

(1) لسد : بحلبتها ، ك : بجهلتها .

---

(1) وعت اعجاز ريته أي استرخت مآخير السحاب فسالت كما تسيل القربة وبيّن العلم : أوّله .

(2) ذات السر اسم موضع .

(3) الجلهة : ما استقبلك من الوادي اذا واجهته .